سيرة ابن هشام
الجزء الرابع
الجزء 3
صفحة 1 - 125
هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

سبب تأخر أبي بكر وعلي في الهجرة : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكةَ بعدَ أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤْذَنَ له في الهجرة، ولم يتخلفْ معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن ، إلا على بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قُحافة الصديق رضى الله عنهما، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً، فيطمع أبو بكر أن يكونَه .

قريش تتشاور في أمره عليه السلام : قال ابن إسحاق : ولما رأت قريش أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شِيعة وأصحاب من غيرهم بغيرِ بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم مَنَعَة، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم . فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قُصَي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثني مَنْ لا أتهم من أصحابنا، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد بن جُبير أبي الحجاج ، وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، واتَّعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غَدَوْا في اليوم الذي اتَّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل[1] ، عليه بتلة[2] ، فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفاً على بابها؟ قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد[3] سمع بالذي اتَّعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعدمكم منه رأياً ونصحاً، قالوا : أجل فادخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش من بني عبد شمس : عتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب ، ومن بني نوفل بن عبد مناف : طُعَيمة بن عدي ، وجُبَيْر بنُ مُطْعِم ، والحارث بن عامر بن نَوْفل . ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : النضر بن الحارث بن كَلَدة . ومن بنى أسد بن عبد العُزَّى : أبو البَخْتَرِيّ بن هشام ، وزَمْعَة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حِزام . ومن بنى مخزوم ، أبو جهل بن هشام . ومن بني سَهْم : نُبيه ومُنبَّه ابنا الحجاج . ومن بنى جُمَح : أمية بن

---

[1] يقال جل الرجل وجلت المرأة إذا أسنت ، قال الشاعر:

#" وما حظها أن قيل عزت وجلت "

ويقال فيه : جلَلت يا رجل بفتح اللام ، وقياسه جلُلت بضمها لأن اسم الفاعل منه : جليل ، ولكن تركوا الضم في المضاعف كله استثقالا له مع التضعيف إلا في لببت ، فأنت لبيب ، حكاه سيبويه بالضم على الأصل .

[2] البتلة : الكساء الغليظ .

[3] وإنما قال لهم : إني من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السير، لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدي ، انظر الروض الأنف ج 2 ص 229

خلف . ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش .
فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان مـن أمـره مـا قـد رأيتـم ، فإنـا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فـأجمعوا فيـه رأيـاً. قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الـذين كـانوا قبلـه ، زهيـراً والنابغـة، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .
فقال الشيخ النجدي : لا والله ، ما هذا لكم برأي . والله لئن حبسـتموه كمـا تقولـون ليخرجـن أمـره مـن وراء البـاب الـذي أغلقتـم دونـه إلـى أصـحابه ، فلأوشـكوا أن يثبـوا عليكـم ، فيُنزِعـوه مـن أيـديكم ، ثـم يكـاثروكم بـه ، حـتى يغلبوكم على أمرِكم ، ما هذا لكم برأي ، فـانظروا فـي غيـره . فتشـاوروا. ثـم قال قائل منهم : نخرجه من بيـن أظهرنـا، فننفيـه مـن بلادنـا، فـإذا أخـرج عنـا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غـاب عنـا وفرغنـا منـه ، فأصـلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، ألـم تَرَوْا حُسنَ حديثه ، وحلاوةَ منطقه ، وغَلبته على قلوب الرجـال بمـا يـأتي بـه ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطـأكم بهـم فـي بلادكم ، فيأخذ أمرَكم من أيديكم ، ثم يفعل بكم مـا أراد، ديـروا فيـه رأيـا غيـر هذا. قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأيـاً مـا أراكـم وقعتـم عليه بعدُ. قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قـال أرى أن نأخـذ مـن كـل قبيلـة فـتى شابا جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نُعطي كل فتى

منهم سيفاً صارماً ثم يَعْمِدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجـل واحـد، فيقتلـوه ، فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم .
قال : فقال الشيخ النجدي : القول مـا قـال الرجـل ، هـذا الـرأي الـذي لا رأي غيره ، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له

استخلافه صلى الله عليه وسلم عليّا : فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشِك الـذي كنـتَ تبيت عليه ، قال : فلما كانت عَتْمَة من الليل اجتمعوا على بابه يرصـدونه مـتى ينام ، فيثبون عليه ؟ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلـيِّ بن أبي طالب : نم على فراشي وتَسَجَّ بِبُـرْدي هـذا الحَضْـرمي الأخضـر، فنم فيه ، فإنه لن يَخْلُص إليك شيء تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ينام في بُرْدِه ذلك إذا نام .
قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرظى قـال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم علـى بـابه : إن محمـداً يزعُم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتـم مـن بعد موتكم ، فجُعلت لكم جِنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذَبْح ، ثم بُعثتم من بعدِ موتكم ، ثـم جُعلـت لكـم نـار تُحرقـون فيهـا. قـال : وخـرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنةً مـن تُـراب فـي يـده ،ثـم قال :أنا أقول ذلك ، أنتَ أحدُهم . وأخـذ اللـه تعـالى علـى أبصـارِهم عنـه ، فلا يَرَوْنَه ، فجعل يَنثرُ ذلك الترابَ على رؤوسِهم وهو يتلو هؤلاءِ الآيات مـن يـس : {يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ* إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ* عَلَى صِـرَاطٍ مُسْـتَقِيمٍ*تَنزِيـلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ } [يس: 1ـ5]

إلى قوله { فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } [يس:9] حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا قد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهبَ ، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا : محمداً : قال : خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسِهِ ترابا، وانطلق لحاجته ، أفما تَرَوْنَ ما بكم ؟ قال : فوضع كلٌّ رجلٍ منهم يدَه على رأسِه ، فإذا عليه ترابٌ ثم جعلوا يتطلَّعون فَيَرَوْن علياً على الفراش مُتَسَجِّياً بِبُرْد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً، عليه بُرْدُه . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[4] فقام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدَّقنا الذي حدثنا.

ما نزل في تربص المشركين بالنبي : قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا له : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [الأنفال: 30]، وقول الله

---

[4] قال السهيلى : " وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحم عليه في الدار مع قصر الدار وأنهم إنما جاءوا لقتله ، فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض : والله إنها لسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا، فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج ، وفي قراءة الآيات الأولى من سورة : يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به عليه السلام ، فقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكره فضل " يس " أنها إن قرأها خائف أمن ، أو جائع شبع أو عار كسي، أو عاطش سقى حتى ذكر خلالاً كثيرة . {وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}[الإسراء:82]

عز وجل :{ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ* قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُتَرَبِّصِينَ } [الطور: 30،31]
قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : ما يريب ويعرض منها. قال أبو ذؤيب الهذلي

أمن المنُون ورَيْبها تتوجَّعُ والدهرُ ليس بِمُعْتِبٍ من يَجْزعُ

وهذا البيت في قصيدة له .
قال ابن إسحاق : وأذِنَ الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك في الهجرة.
أبو بكر يطمع في المصاحبة : قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال ، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجلْ ، لعل الله يجد لك صاحباً، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما يعني نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما في دارِه ، يعلفهما إعداداً لذلك .
حديث الهجرة إلى المدينة : قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يُخطيء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيَ بيتَ أبي بكر أحدَ طرفي النهار، إما بكرة وإما عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، والخروج من مكة من بين ظهريْ قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتى فيها : قالت : فلما رآه أبو بكر، قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختى أسماءُ بنت أبي بكر،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجْ عني من عندَك . فقال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاي[5] ، وما ذاك ؟ فداك أبي وأمي ! فقال : إن الله قد أذن لى في الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . قال : الصحبة.

قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ[6] ، ثم قال : يا نبى الله إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا.

فاستأجرا عبد الله بن أرقط - رجلا من بنى الدّئل بن بكر، وكانت أمه امرأة من بني سَهْم بن عمرو، وكان مشركا - يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

من علم بأمر هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، حين خرج ، إلا علي ابن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر. أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعدَه بمكه، حتى يؤدِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائعَ ، التي كانت عندَه للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عندَه شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم

---

[5] وقال في جامع البخاري : إنما هم أهلك يا رسول الله، وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه قبل ذلك ، وكذلك روى عن أمها أم رُومان بنت عامر بن عويمر، ويقال في اسم أبيها رَوْمان بفتح الراء أيضاً. راجع فتح الباري - بتحقيقنا.

[6] قول عائشة - رضى الله عنها - ما كنت أرى أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح . قالت ذلك لصغر سنها، وأنها لم تكن علمت بذلك قبلُ .

في الغار[7] : قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قحافة، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمَّع لهما ما يقول الناسُ فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر عامرَ بنَ فُهيرة مولاه أن يرعى غنمَهُ نهارَه ، ثم يريحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغارِ. وكانت أسماءُ بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما.

قال ابن هشام : وحدثني بعضُ أهل العلم ، أن الحسنَ بنَ أبي الحسنِ البَصْريَّ قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلَمِس الغار، لينظر أفيه سبع أو حية، يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسِهِ

من قام بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم في الغار : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائةَ ناقة، لمن يرده عليهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهارَه معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون في **شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر**. ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فُهَيْرة مولَى أبي بكر رضى الله عنه ، يرعى في رُعْيانِ أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنمَ أبي بكر. فاحتلبا وذبحا، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدَا من عندهما إلى مكة، اتبع عامرُ

---

[7] وهو غار في جبل ثور، وهو الجبل الذي ذكره في تحريم المدينة وأنها حرام ما بين عير إلى ثور، وهو وهم في الحديث ، لأن ثوراً من جبال مكة، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين عير إلى كذا، كأن المحدث قد نسي اسم المكان فكنى عنه بكذا. راجع : مفاتيح القاري لأبواب فتح الباري - للمحقق .

ابنُ فُهَيْرة أثرَه بالغنم حتى يُعَفِّي عليه ، حتى إذا مضت الثلاثُ ، وسكن عنهما الناسُ أتاهما صاحبُهما الذي استأجراه ببعيريْهما وبعير له ، وأتتهما أسماءُ بنت أبي بكر رضى الله عنها بسُفْرتهما، ونسيت أن تجعل لها عِصاماً[8] فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السّفرةَ، فإذا ليس لها عِصام ، فتحل نِطاقها فتجعله عِصاما، ثم علقتها به .

سبب تسمية أسماء بذات النطاق : فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق ، لذلك . قال ابن هشام : وسمعت غيرَ واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ، وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين : فعلقت السفرة بواحد، وانتطَقَتْ بالآخر.

راحلة الرسول : قال ابن إسحاق : فلما قَرَّب أبو بكر، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم له أفضَلَهما، ثم قال : اركبْ ، فداك أبي وأمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لا أركب بعيراً ليس لى قال : فهي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمى، قال : لا، ولكن ما الثمنُ الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا؟ قال : قد أخذتُها به . قال : هى لك يا رسول الله[9] . فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصدِّيق رضى الله عنه عامرَ بن فهيرة مولاه خلفَه ، ليخدمَهما في الطريق .

أبو جهل يضرب أسماء : قال ابن إسحاق : فَحُدثت عن أسماءَ بنتِ أبي بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر قالت : قلت : لا أدري

---

[8] العصام : الحبل يشد على فم المزادة .

[9] فسئل بعض أهل العلم . لم لم يقبلها إلا بالثمن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقيل ، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد أمَنَّ على من أهل ومال من أبي بكر، وقد دفع إليه ،حين بنى بعائشة ثنتي عشرة أوقية ونشاً،
فلم يأب من ذلك فقال المسئول إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة والجهاد على أتم أحوالها، وهو قول حسن حدثني بهذا بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبي الحسن بن اللوان رحمه الله .
وذكر ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام : أن الناقة التي ابتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر يومئذٍ، هي ناقته التي تسمى بالجدعاء، وهى غير العضباء التي جاء فيها الحديث حين ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ناقة صالح ، وأنها تحشر معه يوم القيامة، فقال له رجل : وأنت يومئذ على العضباء يارسول الله، فقال لا ابنتي فاطمة على العضباء، وأحشر أنا على البراق ، ويحشر هذا على ناقة من
نوق الجنة وأشار إلى بلال . (عن الروض الأنف للإمام السهيلي - بتحقيقنا).

والله أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثـاً؟ فلطـم خـدي لطمةً طرح منها قُرطى .

الجني الذي تغنى بمقدمه صلى الله عليه وسلم : قالت : ثم انصرفوا. فمكثنا ثلاثَ ليالٍ ، وما ندري أينَ وَجْهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبلَ رجل من الجن من أسفل مكة، يتغنى بأبيات من شعر غِناءَ العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوتَه وما يَرَوْنَه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناسِ خيرَ جزائهِ رفيقين حلاَّ خَيْمَتَىْ أم مَعْـبَدِ
هما نزلا بالبَرِّ ثم تَرَوَّحَـــا فأفلح من أمسى رفيقَ محمدِ
لِيهْنِ بنو كَعْبٍ مكانُ فتاتِهـــم ومقعدُها للمؤمنين بمرصــد

نسب أم معبد : قال ابن هشام : أم مَعْبَدِ[10] بنت كعب ، امرأة

---

10 اسمها : عاتكة بنت خالد إحدى بنى كعب من خزاعة
وهي أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية، ويقال له الأشعر، وأخوها : حبيش بن خالد وخالد الأشعر أبوهما، هو: ابن حنيف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو وهو أبو خزاعة .

من بنى كعب ، من خزاعة وقوله ، " حلاَّ خيمَتَيْ " و " هما نزلا بالبر ثم تروحا " عن غير ابن إسحاق .
قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما فلما سمعنا قوله ، عرفنا حيث وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وَجْهَه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وعامرُ بن فُهَيْرة مولى أبي بكر، وعبد الله بن أرْقَط دليلهما.
قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أرَيْقط .

موقف آل أبي بكر بعد الهجرة : قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عَبَّاداً حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كلّه ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه .
قالت : فدخل علينا جَدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت ! إنه قد ترك لنا خيراً كثيرا. قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها في كُوَّةٍ في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . لا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

سراقة بن مالك : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُمْ حدثه عن أبيه ، عن عمه سُرَاقة بن مالك ابن جُعْشُم[11] ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكةَ مهاجراً إلى

---

[11] هو سراقة بن مالك بن جعشم الكناني ثم المدلجي أحد بني مدلج بن مرة بن تيم بن عبد مناة بن كنانة .

المدينة، جعلت قريش فيه مائةَ ناقة لمن رده عليهم . قـال : فبَيْنـا أنـا جـالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا، حتى وقف علينا، فقال : والله قد رأيتُ رَكَبة ثلاثة مروا عليَّ آنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليـه بعينـى : أن اسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضـالة بهـم ، قـال : لعلـه ، ثـم سكت . قال : ثم مكثت قليلاً، ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسى، فقُيد لى إلى بطن الوادي ، وأمرت بسلاحي ، فأخرج لي من دُبُر حجرتى، ثم أخذت قِداحي التي أستقسم بها، ثم انطلقـت ، فلبسـت لامـتى ثـم أخرجـت قِـداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره " لا يضره ". قال : وكنـت أرجـو أن أرده على قريش ، فآخذ المائة الناقة، قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسـي يشتد بي عثر بي ، فسقطت عنه قال : فقلـت : مـا هـذا؟ قـال : ثـم أخرجـت قداحى فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره " لا يضره "، قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، قال : فركبت في أثره فبينا فرسي يشتد بـى، عـثر بـي ، فسـقطت عنه ، قال : فقلت : ما هذا؟ قال : ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بهـا فخـرج السهم الذي أكره " لا يضره " قال : فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي ، فذهبت يداه في الأرض ، وسقَطْت عنه ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالإعصار. قال : فعرفت حيـن رأيـت ذلك أنه قد مُنع منى، وأنه ظاهر.
قال : فناديت القـوم : فقلـت : أنـا سُـراقة بـن جُعْشُـم : انظرونـى أكلمْكـم ، فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شىء تكرهونه .
قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : قـل لـه : ومـا تبتغـى منا؟ قال : فقال ذلك أبو بكر.

قال : قلت : تكتب لى كتاباً يكون آية بيني وبينك .
قال : اكتب له يا أبا بكر.
إسلام سراقة بن جعشم : قال : فكتب لى كتاباً في عَظْم ، أو في رُقعة، أو في خزَفة، ثم ألقاه إليَّ ، فأخذته ، فجعلته فَي كِنانتى، ثم رجعت ، فسكتُّ فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرغ من حُنَين والطائف ، خرجت ومعي الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجِعِرَانة . قال : فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار. قال : فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك ماذا تريد؟ قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأنى أنظر إلى ساقه في غِرْزِهِ كأنها جُمَّارة . قال : فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك ، أنا سُراقة بن جُعْشُم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبر، أدْنُهْ قال : فدنوت منه ، فأسلمت . ثم تذكرت شيئاً اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الإبل تغشى حياضى، وقد ملأتها لإبلى، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال : نعم ، في كل ذات كَبد حَرَّى أجر. قال : ثم رجعت إلى قومي فسُقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي .
قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جعشم .
طريق الهجرة : قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أرْقَط ، سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان[12] ، ثم سلك بهما على أسفل

---

[12] عُسفان : سمى عسفان لتعسف السيول فيه ، وسئل عن الأبواء الذي فيه قبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم : لم سمى الأبواء؟ فقال : لأن السيول تتبوءه أي تحل به وبعسفان فيما روي كان مسكن الجذماء، ورأيت في بعض المسندات أن رسول الله – صلى الله
عليه وسلم

أمَج ، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قُدَيداً، ثـم أجـاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخَرَّار، ثم سلك بهما ثَنِيَّة المـرة، ثـم سـلك بهما لِقْفا.

قال ابن هشام : ويقال ؟ لَفْتا[13] . قال مَعْقِل بن خُوَيلد الْهُذَلي :

نزيعا مُحْلِباً من أهل لَفْت لحىّ بين أثْلةَ والنِّحامِ

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهم مَدْلَجة لِقْف ثم استبطن بهما مَدْلجة محاج - ويقال : مِجاج فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرْجِح مَحاجِ ، ثم تبطن بهما مَرْجِح من ذي الغَضَوين .

قال ابن هشام : ويقال : العضوين .

ثم في ذي كَشْر، ثم أخذ بهما على الجَداجَد[14] ، ثم على

---

[13] لقفا : بفتح اللام مقيداً في قول ابن إسحاق ، وفي رواية ابن هشام : لفتاً، واستشهد ابن هشام بقول معقل الهذلي :

نزيعاً محلباً من أهل لفت لحى بين أثلة والنجام

يقول السهيلي : وألفيت في حاشية الشيخ على هذا الموضع قال : لفت بكسر اللام ألفيته في شعر معقل هذا من أشعار هذيل في نسختين ، وهى نسخة صحيحة جداً، وكذلك ألفاه من وثقته وكلفته أن ينظر فيه لي من شعر معقل هذا من أشعار هذيل مكسور اللام من نسخة أبي على القالي المقروءة على الزيادي ، ثم على الأحول ، ثم قرأتها على ابن دُرَيْدٍ رحمه الله، وفيها " صريحاً محلباً "، وكذلك كان الضبط في هذا الكتاب قديماً حتى ضبطته بالفتح على القاضي ، وعلى ما وقع في غيرها، انتهى كلام أبي بحر.

[14] الجداجد : بجيمين ودالين كأنها جمع جديد، وأحسبها آباراً ففي الحديث : أتينا على بئر جدجد. قال أبو عبيد : الصواب : بئر جد أي قديمة، وقال الهروي عن اليزيدي : وقد قال : بئر جدجد قال : وهو كما يقال في الكم كمكم وفي الرف رفرف . (عن الروض الأنف).

الأجْرد ثم سلك بهما ذا سَلَم مَن بطن أعداء مَدْلِجَة تِعْهِن[15] : ثم على العَبابيـد[16] .
قال ابن هشام : ويقال : العَبابيب : ويقال : العِثْيانة . يريد : العبابيب .
قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما الفاجَّة، ويقال : القاحَّة، فيما قال ابن هشام .
قال ابن هشام : ثم هبط بهما العَرْج وقد أبطأ عليهم بعـضُ ظهرهـم ، فحمـل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أسلم ، يقـال لـه : أوس بـن حجـر، على جمل له - يقال له : ابن الرَّداء[17] - إلى المدينة، وبعث معه غلاماً له ، يقال له : مسعود بن هُنَيْدة، ثم خرج بهما دليلهما من العَرْج فسلك بهما ثَنية العـائر، عن يمين رَكُوبة - ويقال : ثنية الغائر، فيما قال ابن هشام - حتى هبط بهما في رِئْم ، ثم قدم بهما قُباء، على بنى عَمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتد الضَّحاء ، وكادت الشمس تعتدل .
قدومه صلى الله عليه وسلم قباء : قال ابن إسـحاق : فحـدثني محمـد بن جعفر ابن الزبير، عن عروة بـن الزبيـر، عـن عبـد الرحمـن بـن عُـوَيْمر بـن ساعدة، قال : حدثني رجال من قوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، قالوا: لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكـة، وتوكفنا[18] قدومه ، كنا

---

[15] مدلجةَ تعهن : اسم عين . وبتعهن صخرة، يقال لها : أم عقى عرفت بامرأة كانت
تسكن هناك ، فمر بها النبي – صلى الله عليه وسلم - واستسقاها فلم تسقه ، فدعا عليها فمسخت
صخرة فهي تلك الصخرة فيما يذكرون . (عن الروض الأنف).
[16] العبابيد : كأنه جمع عباد، وقال ابن هشام : هى العبابيب ، كأنها جمع : عباب
من عببت الماء عباً، فكأنها - والله أعلم - مياه تعب عباباً أو تعب عباً.
[17] وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق يقال له : الرداح .
[18] توكفنا : انتظرنا.

نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حَرَّتنا ننتظـر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنـا الشـمس علـى الظلال ، فـإذا لـم نجـد ظلاً دخلنا وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليومُ الذي قدم فيه رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم، جلسنا كما كنا نجلـس ، حـتى إذا لـم يبـق ظـل دخلنـا بيوتنـا، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول مـن رآه رجل من اليهود، قد رأى ما كنا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم علينا، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلة[19] ، هذا جَدكُم قد جاء قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة، ومعـه أبـو بكر رضي الله عنه في مثل سنه وأكثرُنا لم يكـن رأى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم قبل ذلك ، وركبه الناس[20] ومـا يعرفـونه مـن أبـي بكـر، حـتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فقـام أبـو بكـر فـأظله بردائـه ، فعرفناه عند ذلك[21] .

منزله صلى الله عليه وسلم السلام بقباء : قـال إبـن إسـحاق : فنـزل رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيما يذكرون - على كُلْثوم بـن هِـدْم ، أخـي بنى عَمرو ابن عَوْف ثم أحد بني عُبَيْد ويقال : بل نـزل علـى سـعد بـن خَيْثمـة ويقول من يذكر أنه نزل على كُلثوم بن هِدْم : إنما كان رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم إذا خرج من منزل كلثوم بن هِدْم جلس الناس فـي بيـت سـعد بـن خَيْثمة . وذلك أنه كان عازباً لا أهل له ، وكان منزل

---

[19] قيلة : جدة للأنصار ينسبون إليها.

[20] أي ازدحموا عليه .

[21] كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول ومن شهر أيلول من شهور العجم ، وقال غير ابن إسحاق قدمها لثمان خلون من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبي ، خرج من الغار يوم الاثنين أول يوم ربيع الأول . ودخل المدينة يوم الجمعة لثتي عشرة منه ، وكان بيعة العقبة أوسط أيام التشريق .

الأعزاب[22] من أصحاب رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم مـن المهـاجرين ، فمن هنالك يقال نزل على سعد بن خَيْثمة، وكان يقال لبيت سـعد بـن خيثمـة: بيت الأعزاب . فالله أعلم أي ذلك كان ، كلا قد سمعنا.

منزل أبي بكر بقباء : ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خُبَيْب بـن إسَاف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح . ويقول قائل : كـان منزلـه علـى خارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر، أخي بنى الحارث ابن الخزرج .

منزل علي بقباء : وأقام على بن أبي طـالب عليـه السـلام بمكـة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم الودائـع الـتي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها، لحق برسول الله صلى الله عليـه وسـلم ، فنزل معه على كلثوم بن هِدْم .

من فضائل سهل بن حنيف : فكان على بن أبي طالب ، وإنما كـانت إقامته بقباء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقباء امـرأة لا زوج لهـا، مسـلمة. قـال فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه فيعطيهـا شيئاً معه فتأخذه . قال : فاستربت بشأنه ، فقلت لها : يا أمـة اللـه ، مـن هـذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة، فتخرجين إليه فيعطيـك شـيئاً لا أدري ما هو، وأنت امرأة

---

[22] وكلثوم هذا هو ابن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان شيخاً كبيراً مات بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة بيسير، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي – صلى الله عليه وسلم -.

ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام ، وسعد بن خيثمة وأنه كان يقال لبيته ، بيت العزاب هكذا روي - وصوابه ، الأعزاب ، لأنه جمع عزب ، يقال رجل عزب ، وامرأة عزب ، وقد قيل ، امرأة عزبة بالتاء.

مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل بـن حنيـف بـن واهـب ، قـد عـرف أنـي امرأة لا أحد لى، فإذا أمسى عدا على أوثان قـومه فكسـرها، ثـم جـاءني بهـا، فقال : احتطبى بهذا، فكان على رضى الله عنه يـأثر ذلـك مـن أمـر سـهل بـن حنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .
قال ابن إسحاق : وحدثني هذا، من حديث على رضى الله عنه : هند بـن سـعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه .
مسجد قباء[23] : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بقباء، في بنى عمرو بن عَوْف ، يوم الاثنين ويـوم الثلاثـاء ويـوم الأربعـاء ويـوم الخميس ، وأسس مسجده .
خروج الرسول من قباء وذهابه إلى المدينة : ثم أخرجه اللـه مـن بيـن أظهرهم يوم الجمعة وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنـه مكـث فيهـم أكـثر مـن ذلك - فالله أعلم أي ذلك كان ، فأدركتْ رسـولَ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الجمعةُ في بني سالم بن عَوْف ،فصلاها في المسجد الذي في بطـن الـوادي ، وادي رانُوناَء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.
اعتراض القبائل له لينزل عندها : فأتاه عِتْبـان بـن مالـك ، وعبـاس ابـن عُبادة بن نَضلة في رجال من بنى سالم بن عوف ، فقالوا : يا

---

[23] وذكر تأسيس مسجد قباء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أسسه لبنى عمرو بن عوف ثم انتقل إلى المدينة، وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه ، كان هو أول من وضع حجراً في قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر، ثم أخذ الناس في البنيان . وفي الخطابي عن الشموس بنت النعمان قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر في صهره إلى بطنه ، فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى أمره أن يدعه ويأخذ غيره . يقال : صهره وأصهره إذا ألصقه بالشيء ومنه اشتقاق الصهر في القرابة، وهذا المسجد أول مسجد بنى في الإسلام .

رسول الله ، أقم عندنا في العَدد والعُـدَّة والمَنَعَـة؟ قـال خلـوا سـبيلَها : فإنهـا مأمورة، لناقته : فخلّوْا سبيلَها؛ فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بَيَاضَة، تلقـاه زياد بن الوليد، وفروة بن عمرو، في رجال من بنى بَيَاضـة فقـالوا : يـا رسـول الله : هلم إلينا، إلى العَدد والعُدة والمَنَعة؛ قال : خلـوا سـبيلها فإنهـا مـأمورة، فخلّوْا سبيلها. فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بنى سـاعدة، اعترضـه سـعد بـن عبادة، والمنذر بن عمرو، في رجال من بني ساعدة فقالوا : يـا رسـول اللـه ؟ هلم إلينا إلى العدد والعُدة والمنَعة؟ قال : خلوا سبيلها؟ فإنها مـأمورة، فخلّـوْا سبيلها، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد ابن الربيع ، وخارجة بن زيد؟ وعبد الله بن رَوَاحَة، في رجال من بنـي الحـارث بن الخزرج فقالوا يا رسول الله ، هلُم إلينا إلـى العَـدد والعُـدة والمَنَعـة قـال : خلوا سبيلها، فإنها مأمورة، فخلّوْا سبيلها. فانطلقت حـتى إذا مـرت بـدار بنـى عدي بن النجار، وهم أخواله دِنْيا - أم عبد المطلب ، سَلْمى بنت عمـرو إحـدى نسائهم - اعترضه سَلِيط بن قَيْس ، وأبو سَلِيط ، أسَيْرة بـن أبـي خارجـة، فـي رجال من بنى عدي بن النجار، فقالوا : يا رسول الله ، هلم إلى أخوالـك ، إلـى العَـدد والعُـدة والمَنَعـة قـال : خلـوا سـبيلَها فإنهـا مـأمورة، فخلّـوْا سـبيلها، فانطلقت .

مبرك الناقة : حتى إذا أتت دار بنى مالـك بـن النجـار بركـت علـى بـاب مسجده صلى الله عليه وسلم، وهـو يومئـذ مِرْبَـد[24] لغلاميـن يـتيمين مـن بنـى النجار، ثم من بنى مالك بن النجـار، وهمـا فـي حِجـر مُعـاذ بـن عَفْـراء، سَـهْل وسُهَيْل ابنى عمرو، فلما بركت ،ورسول الله صلى الله عليه وسـلم عليهـا لـم ينزل ، وثبت فسارت غيرَ بعيد ورسول الله صلى الله عليـه وسـلم واضـع لهـا زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت إلى خلفها، فرجعت إلى مبركها أول مرة،

---

[24] المربد : المكان الذي يجعل فيه الزرع والتمر ليبس .

فبركت فيه ، ثم تَحلْحَلت ورزَمت وألقت بجرانِها[25] فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زَيْد رحلَه ، فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسأل عن المِرْبَد لمن هو؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لِسهْل وسُهَيْل ابنيْ عمرو[26] وهما يتيمان لي ، وسأرضيهما منه ، فاتخذْه مسجداً.

بناء مسجد المدينة : قال : فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنَ مسجداً، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب حتى بُنى مسجده ومساكنه ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار : ودأبوا فيه[27] : فقال قائل من المسلمين :

---

[25] تحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أي : بعنقها، وفسره ابن قتيبة على تلحلح أي :
لزم مكانه : ولم يبرح وأنشد :
أناس إذا قيل انفروا قد أتيتم أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا
قال : وأما تحلحل بتقديم الحاء على اللام فمعناه : زال عن موضعه ، وهذا الذي قاله قوي من الاشتقاق فإن التلحلح يشبه أن يكون من لححت عينه إذا التصقت وأما التحلحل : فاشتقاته من الحل والانحلال ، لأنه انعكاك شيء، ولكن الرواية في سيرة ابن اسحاق : تحلحلت بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوباً من تحلحلت فيكون معناه : لصقت بمرضعها، وأقامت ، على المعنى الذي فسره ابن قتيبة في تلحلحت .
وأما قوله : ورزمت الناقة رزوماً إذا أقامت من الكلال . . ونوق رزمى، أما أرزمت بالألف ، فمعناه : رغت ورجَّعت في رغائها، ويقال منه : أرزم الرعد، وأرزمت الريح . قاله صاحب العين .

[26] سهل وسهيل هما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم ابن مالك بن النجار، وقد شهد سهيل بدراً والمشاهد كلها، ومات في خلافة عمر، أما سهل فلم يشهد إلا ما بعد بدر، ومات قبل أخيه سُهيل .

[27] وفي الصحيح أنه قال : يا بنى النجار ثامنوني بحائطكم حين أراد أن يتخذ مسجداً، وقد ترجم البخاري على هذه المسألة لفقه ، وهو أن البائع أولى بتسمية الثمن الذي يطلبه : قال أنس : وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطعت . راجع فتح الباري بتحقيقنا.

لئن قعدنا والنبيُّ يعمـــلُ لذاك منا العمل المضلِّلُ

وارتجز المسلمون قوهم يبنونه يقولون :

لا عيشَ إلا عيش الآخـــره اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز.

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار.

عمّار والفئة الباغية : قال : فدخل عمـار بـن ياسـر، وقـد أثقلـوه بـاللَّبِن ، فقال يا رسول الله قتلوني ؟ يحملون علىّ ما لا يحملون . قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفُضُ وَفْرَته بيـده : وكـان رجلا جَعْـدا، وهـو يقـول : ويـح ابـن سُـمَية ليسـوا بالـذين يقتلونك. إنما تقتلك الفئةُ الباغية .

وارتجز على بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ :

لا يستوي من يُعمرُ المساجـــدا يدأبُ فيه قائماً وقاعدَا

قال ابن هشام : سألت غير واحـد مـن أهـل العلـم بالشـعر، عـن هـذا الرجـز، فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا يُدْرَى : أهو قائله أم غيره .

قال ابن إسحاق : فأخذها عمار بن ياسر، فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام : فلما أكثر، ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم

أنه إنما يعرِّض به ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكَّائي ، عن ابن إسحاق ، وقد سمى ابنُ إسحاق الرجلَ[28] .
قال ابن إسحاق : فقال قد سمعتُ ما تقول منذ اليوم يا ابنَ سمية، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفى يده عصا. قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، إن عماراً جِلْدَة ما بين عينىَّ وأنفي ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُستبق فاجتنبوه .
قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة عن زكريا، عن الشعبى، قال : إن أول من بنى مسجداً عمار بن ياسر[29] .
الرسول ينزل في بيت أبي أيوب : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب ، حتى بُنى له مسجده ومساكنُهُ[30] ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبي أيوب رحمة الله عليه و رضوانه .

---

[28] وإنما لم يسمه ابن هشام لئلا يذكر بسوء أحد الصحابة ولا نسميه نحن أيضاً فقد اختلفوا في اسمه على أقوال كثيرة، وليس في تسميته فائدة .

[29] كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد، وقد بناه معه الناس ؟
فيقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قباء، لأن عماراً هو الذي أشار على النبي - صلى الله عليه وسلم- ببنيانه ،
وهو جمع الحجارة له ، فلما أسسه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- استتم بنيانه عمار.

[30] وبُني مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وسقف بالجريد وجعلت قبلته من اللبن ، ويقال :
بل من حجارة منضود بعضها على بعض، وجعلت عمده من جذوع النخل ، فنخرت في خلافة عمر فجردها، فلما كان عثمان بناه بالحجارة المنقوشة بالفضة وسقفه بالساج ، وجعل قبلته من الحجارة . فلما كانت أيام بني العباس بناه محمد بن أبي جعفر المتسمى بالمهدى، ووسعه وزاد فيه ، وذلك في سنة ثنتين ومائتين : وأتقن بنيانه ، ونقش فيه ، ثم زيد فيه البنيان والنقوش على ممر العصور زاده الله تشريفاً، وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرضومة، بعضها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضا. وقال الحسن بن أبي الحسن : كنت أدخل بيوت النبي عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأنال السقف بيدي ، وكانت حجره - عليه السلام - اكسية من شعر مربوطة في خشب عرعر. وفي تاريخ البخاري أن بابه - عليه السلام – كان يقرع بالأظافر، أي لا حلق له ، ولما توفي أزواجه عليه السلام - خلطت البيوت والحجر بالمسجد، وذلك في زمن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء، كيوم وفاته عليه السلام ، وكان سريره خشبات مشدودة بالليف ، بيعت زمن بني أمية، فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم . قاله ابن قتيبة.

من أدب أبي أيوب : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَني عن أبي رُهْم السَّماعي قال : حدثني أبو أيوب ، قال : لما نزل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي، نزل في السُّفْل وإنا وأم أيوب في العُلو، فقلت له : يا نبي الله ، بأبى أنت وأمى، إنى لأكره وأعظم أنأكون فوقك ، وتكون تحتى، فأظهر أنت فكن في العُلْوِ، وننزل نحن فنكون فِي السُّفْل . فقال : يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا وبمن يغشانا، أن نَكون في سُفْل البيت . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سُفله ، وكنا فوقه في المسكن ، فقد انكسر حب[31] لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا، ما لنا لحاف غيرها، نكشف بها الماء، تخوّفاً أن يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه .

قال : وكنا نصنع له العشاء، ثم نبعث إليه ، فإذا رد علينا فضلَه تيممت أنا وأم أيوب موضع يدَه ، فأكلنا منه نبتغى بذلك البركةَ،

---

[31] الحب : جرة كبيرة، جمعه حببة مثل حجر وحجرة وكأنه أخذ لفظه من حباب الماء أو من حبة، وحبابه بالألف : ترافعه قال الشاعر :

كأن صلا جهيزة حين تمشي حباب الماء يتبع الحبابا

والحبب بغير ألف نفاخات بيض صغار تكون على وجه الشراب .

حتى بعثنا إليه ليلة بعَشائه وقد جعلنا له بصلاً أو ثَوْماً، فرده رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم، ولم أر ليده فيه أثراً.

قال : فجئته فزعاً، فقلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمي ، رددت عَشـاءَك ، لم أر فيه موضعَ يدك ، وكنت إذا رددته علينا، تيممت أنا وأم أيوب موضعَ يـدك ، نبتغي بذلك البركـة، قـال : إنـي وجـدت فيـه ريـح هـذه الشـجرة، وأنـا رجـل أناجى؟ فأما أنتم فكلوه ، فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعدُ[32] .

تلاحــق المهـاجرين إلــى المدينــة : قــال ابــن إسـحاق : وتلاحــق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يبق بمكة منهم أحد، إلا مفتون أو محبوس ، ولم يوعب أهل هجـرة مكـة بـأهليهم وأمـوالهم إلـى اللـه تبارك وتعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم إلا أهـل دور مُسَـمَّوْن : بنو مظعون من بني جُمَح ، وبنو جحش بن رِئاب ، حلفاء بني أمية، وبنو البُكَير، من بني سعد بن لَيْث ، حلفاء بني عدي بـن كعـب ، فـإن دورَهـم غُلقـت بمكـة هجرةً، ليس فيها ساكن .

أبو سفيان يعتدي على دار بني جحش : ولمـا خـرج بنـو جَحْـش بـن رِئاب من دارهم . عدا عليها أبو سفيان بن حرب ، فباعها من عمرو بن علقمة، أخي بنى عامر بن لؤى، فلما بلغ بني جحش ما صنع أبو سـفيان بـدارهم ، ذكـر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسـلم، فقـال لـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها في الجنة؟ قال : بلى؟ قال : فذلك لك .

---

[32] وروى غيره حديث أم أيوب ، وقال فيه : إن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس . وروي أن خصيف بن الحارث قال رأيت رسول الله صلى في المنام ، فقلت يا رسول الله : الحديث الذي ترويه عنك أم أيوب أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس أصحيح هو؟ قال : نعم .

فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكـة، كلمـه أبـو أحمـد[33] فـي دارِهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم ؟ فقـال النـاس لأبـي أحمد : يا أبا أحمد، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكـره أن ترجعـوا فـي شيء من أموالكم أصيب منكم في الله عز وجـل ، فأمسـك عـن كلام رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لأبى سفيان :

أبلغْ أبا سُفيانَ عـــن أمر عواقبه ندامهْ
دارَ ابنِ عمِّك بعتَهـا تقضي بها عنك الغرامهْ
وحليفُكَم بالله ربّ الناسِ مجتهد القَسَامَهْ
اذهبْ بها، اذهبْ بها طُوِّقْتَهـــــا طَـــــوْقَ الحمـــــامهْ[34]

من بقي على شركه من أهل المدينة : قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قَدِمها شهرَ ربيع الأول ، إلـى صـفر مـن السنة الداخلة، حتى بُنى له فيها مسجدُه ومساكنهُ ، واسـتجمع لـه إسـلام هـذا الحي من الأنصار، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلُها، إلا مـا كـان مـن خَطْمة، وواقف ، ووائل ، وأمية، وتلك أوس الله ، وهم حى من الأوس ، فـإنهم أقاموا على شركهم .

---

[33] أبو أحمد هذا اسمه عبد، وقيل : ثمامة، والأول أصح ، وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان ، وبهذا السبب تطرق أبو سفيان إلى بيع دار بني جحش إذ كانت بنته فيهم . مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين في خلافة عمر.

[34] وقوله لأبي سفيان طوقتها طوق الحمامة : منتزع من قول النبي – صلى الله عليه وسلم من غصب شبراً من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين ، وقال طوق الحمامة،
لأن طوقها لا يفارقها، ولا تلقيه عن نفسها أبداً، كما يفعل من لبس طوقاً من الآدميين ، ففي هذا البيت من حلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه ،
وفي قوله : طوق الحمامة رد على من تأوَّل قوله عليه السلام : طوَّقه من سبع أرضين أنه من الطاقة، لا من الطوق في العنق .

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل - أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أما بعد، أيها الناس ، فقدِّموا لأنفسكم . تَعَلَّمنُ والله ليُصْعَقَنَّ أحدُكم ثم لَيَدَعَنَّ غنمَه ليس لها راعٍ ، ثم ليقولنَّ له ربُّه وليس له تَرجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلَّغك ، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بِشِق من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها، إلى سبع مئة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس مرةً أخرى، فقال :

إنَّ الحمدَ للّه ، أحمدُهُ وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إن أحسنَ الحديثَ كتاب الله تبارك وتعالى، قد أفلح من زينه الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغهُ ، أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم[35] ، ولا تملُّوا

---

[35] يريد أن يستغرق حب الله جميع أجزاء القلب ، فيكون ذكره وعمله خارجاً من قلبه خالصاً للّه ، وإضافة الحب إلى الله تعالى من عبده مجاز حسن ، لأن حقيقة المحبة : إرادة يقارنها استدعاء للمحبوب إما بالطبع ، وإما بالشرع .

كلامَ الله وذِكْرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبُكم ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى[36] ، وقد سماه الله خِيرته من الأعمال[37] ومصطفاه من العباد، والصالح من الحديث، ومن كل ما أوتى الناس الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً، واتقوه حق تقاته ، وأصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابُّوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن يُنْكَسَ عهدُهُ ، والسلام عليكم[38] .

الرسول يوادع اليهود وكتابه بين المسلمين : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين

---

[36] أن تكون عائدة إلي كلام الله سبحانه ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ، فكأنه قال : إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار، وقوله عليه السلام : لا تملوا كلام الله وذكره ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي ". الهاء في قوله : فإنه لا يجوز فالأعمال إذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه : {يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ}[القصص: 68]

[37] وقوله : قد سماه خيرته من الأعمال ، يعنى : الذكر، وتلاوة القرآن ؟ لقوله سبحانه : {وَيَخْتَارُ} فقد اختاره من الأعمال . وقوله : والمصطفى من عباده ، أي : وسُمى المصطفى من عباده بقوله {الله يَصْطَفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ} [الحج: 75] ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده ، أي : العمل الذي اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا تكون (من) على هذا للتبعيض، إنما تكون لابتداء الغاية، لأنه عمل استخرجه منهم بتوفيقه إياهم . والتأويل الأول أقرب مأخذا والله أعلم بما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم

[38] كان النبي صلى الله عليه وسلم - يخطب خطبته في تلك الأيام على جذع ، وبعدها صنع له المنبر من طُرَفاء الغابة عبد لإمرأة من الأنصار اسمه باقوم . راجع فتح الباري .

المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب[39] ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعَتِهم يتعاقلون بينهم ، وهم يَفدون عَانيهم[40] بالمعروف والقِسط بين المؤمنين . وبنو عوف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقِلَهم[41] الأولى، كل طائفة تَفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو ساعدة على رِبْعَتهم[42] يتعاقلون معاقلَهم الأولى وكل طائفة منهم تَفْدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحارث على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكل طائفة تَفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو جُشَم على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تَفْدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على رِبْعَتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكل طائفة منهم تَفْدِي عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عَمْرو بن عَوْف على رِبْعَتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكل طائفة تَفْدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النَّبِيت على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلَهم الأولى، وكل طائفة تَفْدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوْس على
رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفْدي عانيها بالمعروف

---

[39] يثرب : يثرب اسم رجل نزل بها من العماليق فعرفت باسمه ، وهو يثرب بن قاييل ابن عبيل بن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم ، فلما سكنها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - كره لها، هذا الاسم أعني : يثرب لما فيه من لفظ التثريب ، وسماها طيبة أو المدينة أو طابة ولها أسماء أخرى كثيرة

[40] عانيهم : أسيرهم .

[41] المعاقل : الديات .

[42] ربعتهم ورباعتهم : بالألف بعد الباء، ويقال : فلان على رباعة قومه إذا كان نقيبهم ووافدهم . قاله أبو عبيد.

والقسط بين المؤمنين ، وإن المـؤمنين لا يـتركون مُفْرَحـاً[43] بينهـم أن يُعطـوه بالمعروف في فِداء أو عقل .
قال ابن هشام : المفْرَح : المثقَّل بالدَّيْن والكثير العيال . قال الشاعر :
إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانةً وتحملُ أخرى أفرَحَتْك الودائعُ
وأن لا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونَه وإن المؤمنين المتقين على مـن بغـى منهم ، أو ابتغى دسيعة[44] ظُلم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان وَلدَ أحدهم ، ولا يَقتلُ مؤمن مؤمناً فـي كـافر، ولا ينصرُ كافراً على مؤمن وإن ذمة الله واحدة يُجير عليهم أدناهم وإن المـؤمنين بعضهم مـوالي بعـض دون النـاس ، وإنـه مـن تبعنـا مـن يهـود فـإن لـه النصـر والأسوة، غير مظلـومين ولا متناصـرين عليهـم وإنَّ سِـلْمَ المـؤمنين واحـدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعـدل بينهـم وإن كل غازية غزت معنا يُعقب بعضها بعضاً وإن المؤمنين يُبيء بعضـهم علـى بعض بما نال دماءَهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هَدْي وأقومه ، وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن وإنه من اعتبط[45] مؤمناً قتلاً عن بَينة فإنه قود به إلا أن يرضى وليُّ المقتـول ، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه وإنـه لا يحـل لمـؤمن أقـر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحْدِثاً ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو أواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف

---

[43] المفرح ، فسره ابن هشام كما فسره أبو عبيد أنه الذي أثقله الدين .
[44] الدسيعة : العظيمة .
[45] اعتبط : قتل بلا جناية .

ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مردَّه إلى اللـه عـز وجـل ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين مـا دامـوا محاربين ، وإن يهودَ بني عَوْف أمة مع المـؤمنين لليهـود دينهـم ، وللمسـلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظَلم وأثِم ، فـإنه لا يُوتِـغ[46] إلا نفسَـه ، وأهـلَ بيته ، وإن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عَـوْف ، وإن ليهـود بنـى الحـارث مثل ما ليهود بنى عَوْف ، وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بني عَـوْف ، وإن ليهود بنى جُشَم مثل ما ليهود بني عَوْف ، وإن ليهود بنى الأوْس مثل مـا ليهـود بنى عَوْف ، وإن ليهود بني ثَعْلبة مثل ما ليهود بنى عَوْف ، إلا مـن ظَلـم وأثِـم ، فإنه لا يُوتغ إلا نفسه[47] وأهل بيته ، وإن جَفْنةَ بطن مـن ثعلبـة كأنفسـهم ، وإن لبنى الشُّطَيْبة مثل ما ليهود بنى عَوْف ، وإن البر دون الإثم[48] وإن موالى ثعلبـة كأنفسهم ، وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحـد إلا بـإذن محمـد صلى الله عليه وسلم، وإنه لا ينحجز على نار جُرْح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، إلا من ظلم ، وإن الله على أبـر هـذا[49] وإن علـى اليهـود نفقتَهـم وعلى المسلمين نفقتَهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم ، وإنـه لـم يـأثم امـرؤ بحليفـه وإن النصر للمظلوم وإن اليهـود ينفقـون مـع المـؤمنين مـا دامـوا محـاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وإن الجار كالنفس غير مُضـار ولا أثـم ، وإنه لا تُجار حُرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده ، فإن مردَّه إلى الله عز وجل ،

---

[46] يوتغ :يهلك .
[47] " ولا يوتغ إلا نفسه ،، أي لا يوبق ، ويهلك إلا نفسه ، يقال وتغ الرجل ، وأوتغه غيره
[48] إن البر دون الإثم ،، أي : البر والوفاء ينبغي أن يكون حاجزاً عن الإثم .
[49] إن الله على أبر هذا، أي : على الرضا به

وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم في جانبهم الذي قِبَلهم وإن يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة .
قال ابن هشام : ويقال : مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة .
قال ابن إسحاق : وإن البر دون الإثم ، لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وإثم ، وأنه من خرج آمن ومن
قعد آمن بالمدينة، إلا من ظَلم أو أثِم ، وان الله جار لمن بَرَّ واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم[50] .

---

[50] إن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، إن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به ، وقال أبو عبيد من كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله – صلى الله عليه وسلم - هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية، وإذ كان الإسلام ضعيفاً. قال : وكان لليهود .إذ ذاك نصيب في المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار[51] قال - فيما بلغنا، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يَقُلْ -: تآخَوْا في الله أخَوَيْن أخَوَيْن ثم أخذ بيد على بن أبي طالب ، فقال : هذا أخى. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير[52] ولا نظير من العباد، وعلي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أخوين ، وكان حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وسلم، وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزيد بن حارثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت وجعفر ابن أبي طالب ذو الجناحين ، الطيار في الجنة، ومعاذ بن جبل ، أخو بني سلمة، أخوين .

---

[51] آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه حين نزلوا المدينة، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام

واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : { وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله} [الأنفال: 75] أعني في الميراث ثم جعل المؤمنين كلهم اخوة فقال : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10] يعني في التوادّ وشمول الدعوة.

[52] الخطير : المثل .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة .
قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ابن أبي قحافة، وخارجة بن زُهَير، أخو بَلْحَارث بن الخَزرج ، أخوين وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعِتْبان بن مالك ، أخو بنى سالم ابن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج أخوين ، وأبو عُبيدة بن عبد الله بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بنُ مُعاذ بن النعمان ، أخو بنى عبد الأشْهَل ، أخوين . وعبد الرحمن بن عَوْف ، وسعد ابن الربيع ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، أخَوَيْن ، والزبير بن العوام ، وسلامة ابن سلامة بن وَقْش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين ، ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود حليف بنى زُهرة، أخوين ، وعثمان بن عفان ، وأوْس بن ثابت بن المنذِر، أخو بنى النجار، أخوين . وطلحة ابن عُبَيْد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بنى سَلَمة، أخوين . وسعد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل ، وأبى بن كعب ، أخو بنى النجار . أخوين . ومُصْعَب بن عُمَير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زَيد، أخو بنى النجار : أخَوَيْن . وأبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة، وعَبَّاد بن بشر بن وَقْش، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين . وعمار بن ياسر، حليف بنى مخزوم ، وحذيفة بن اليمان ، أخو بنى عبد عَبْس ، حليف بنى عبد الأشهل : أخوين . ويقال : ثابت بن قَيْس بن الشمَّاس ، أخو بَلحارث بن الخزرج خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمار بن ياسر، أخوين . وأبو ذَر، وهو بُرَيْر بن جُنادة الغِفاري ، والمُنْذِر بن عمرو المُعْنِق ليموت[53] ، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : أخوين .

---

[53] أي أن الموت أسرع إليه وساق إليه أجله .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذرّ : جُنْدَب بن جُنادة .
قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبي بَلْتَعة، حليف بني أسد ابن عبد العزى، وعُوَيْم بن ساعدة أخو بنى عمرو بن عوف ، أخوين[54] ، وسلْمان الفارسى، وأبو الدرداء، عُوَيْمر بن ثعلبة، أخو
بَلْحارث بن الخزرج ، أخوين .
قال ابن هشام : عُوَيْمر بن عامر، ويقال : عُوَيمر بن زيد.
قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبي بكر رضي الله عنهما، مُؤذِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُوَيْحة، عبد الله بن عبد الرحمن الخَثْعَمي ، ثم أحد الفَزَع[55] ، أخوين ، فهؤلاء من سُمِّى لنا، ممن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينَهم من أصحابه .
فلما دوَّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مجاهداً فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رُوَيْحة، لا أفارقه أبداً، للأُخُوَّة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بينه وبينى، فضم إليه ، وضم ديوان الحبشة إلى

---

[54] قال في حاطب : حليف بني أسد، وقال غيره : كان عبداً لعبيد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى وقيل : كان من مذحج ، والأشهر: أنه من لخم !
ابن عدى، واسم أبي بلتعة عمرو بن أشد بن معاذ. والبلتعة من قولهم تبلتع الرجل
إذا تظرف ، قاله أبو عبيد في الغريب المصنف .

[55] هو ابن شهدان بن عفرس بن خلف بن أفتل ، وأفتل هو خثعم بن أنمار، وقد اختلف النسابون فيما بعد أنمار. ، والفَزَع هذا بفتح الزاي .
وأما الفَزْع بسكونها فهو الفَزْع بن عبد الله بن ربيعة
وكذلك الفَزْع من خزاعة، وفي كلب هما ساكنان أيضاً، قاله ابن حبيب النسابة.
وقال الدار قطني : الفزع بفتح الزاي . رجل يروي عن ابن عمر. (عن الروض الأنف).

خَثْعَم ، لمكان بلال منهم ، فهو في خَثْعَم إلى هذا اليوم بالشام.

موت أبي أمامة : قال ابن إسحاق : وهَلك في تلك الأشهر أبو أمامة، أسعد بن زُرَارة، والمسجد يُبنى، أخذته الذبحة أو الشهقة . قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد ابن زُرارة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميت أبو أمامة، ليهود ومنافقي العرب يقولون : لو كان نبياً لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسي ولا أصحابى من الله شيئاً.

نقابته عليه السلام لبني التجار : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة الأنصاري : أنه لما مات أبو أمامة، أسعد ابن زُرارة، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو أمامة نقيبهم ، فقالوا له : يا رسول الله ، إن هذا قد كان منا حيث قد علمت ، فاجعل منا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالى، وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضَهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجار الذي يَعُدُّون على قومهم ، أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

خبر الأذان

التفكير في اتخاذ علامة لحلول وقت الصلاة : قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة، وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود، وفُرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة، فهمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به ، لصلاتهم ، ثم كرهه ثم أمر بالناقوس ، فَنُحِتَ ليُضرب به للمسلمين للصلاة[56] .

رؤيا عبد الله بن زيد الأذان : فبينما هم على ذلك إذ رأى عبدُ الله بن زَيْد بن ثعلبة بن عبد رَبِّه[57] ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ،

---

[56] وفي غير السيرة - أنهم شاوروا، رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنهم ذكروا الشبور، وهو البوق . قال الأصمعى للمفضل ، وقد نازعه في معنى بيت من الشعر، فرفع المفضل صوته ، فقال الأصمعي لو نفخت في الشبور ما نفعك ، تكلم كلام النمل وأصب ! وذكروا أيضاً القنع وهو القرن ، وقال بعضهم : هو تصحيف إنما هو القبع والقنع أولى بالصواب ، لأنه من أقنع صوته إذا رفعه ، وقال بعضهم : بل نوقد ناراً، ونرفعها، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة، وقال بعضهم : بل نبعث رجلاً ينادى بالصلاة .

[57] أكثر النسابين يقول : زيد بن عبد ربه ،وثعلبة أخو زيد.

النداء، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له : يا رسـولَ اللـه ، إنـه طاف بي هذه الليلة طائفٌ : مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوساَ في يده ، فقلت له : يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قـال : قلت : ندعو به إلى الصلاة، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قال : قلت : وما هو؟ قال : تقول : الله اكبرُ الله اكبرُ، الله اكبرُ، الله أكبرُ، أشـهدُ أن لا إلـه إلا اللـه ، أشـهدُ أن لا إلـه إلا اللـه ، أشـهدُ أن محمـداً رسـولُ اللـه ، أشـهد أن محمداً رسولُ الله ، حَىَّ على الصلاةِ، حىَّ على الصلاةِ، حىَّ على الفلاحِ ، حـىَّ على الفلاحِ ، الله أكبرُ، الله أكبرُ، لا إله إلا الله .

أمره بلالاً بالأذان : فلما أخبرَ بها رسولَ الله صـلى اللـه عليـه وسـلم ، قال إنها لرؤيا حَقٌّ ، إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذن بها، فـإنه أنْدَى[58] صوتاً منك . فلما أذَّن بها بلال سمعها عمر بنُ الخطاب وهو فـي بيتـه ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجر رداءَه ، وهو يقول : يـا نبى الله والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلله الحمدُ على ذلك[59] .

رؤيا عمر في الأذان : قال ابن إسحاق : حدثني بهذا الحديث محمدُ بـن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد رَبِّـه ، عـن أبيه .

---

[58] أندى : أحسن وأبدع .

[59] فبينما هم في ذلك - أري عبد الله بن زيد الرؤيا التي ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يلقيها على بلال ، قال ، يا رسول الله أنا رأيتها، وأنا كنت أحبها لنفسى، فقال : ليؤذن بلال ، ولتُقم أنت الصلاة، ففي هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل ويقيم غيره .

قال ابن هشام : وذكر ابن جُرَيْج ، قـال لـى عطـاء : سـمعت عُبَيْـد ابـن عُمَيْـر الليثى يقول : ائتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالنـاقوس للاجتمـاع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشـتري خشـبتين للنـاقوس ، إذا رأى عمرُ بن الخطاب في المنام : لا تجعلوا الناقوس ، بل أذِّنوا للصلاة فذهب عمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النـبيَّ صـلى اللـه عليه وسلم الوحىُ بذلك ، فما راع عمر إلا بلال يؤذِّن ، فقال رسول الله صـلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحى[60] .

ما كان يدعو به بلال قبل الفجر : قال ابن إسـحاق : وحـدثني محمـد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن امـرأة مـن بنـى النجـار، قـالت : كان بيتي من أطولِ بيت حولَ المسجد، فكان بلال يؤذن عليه الفجرَ كُلَّ غَداة، فيأتي بسَحَر، فيجلس على الـبيت ينتظـر الفجـر، فـإذا رآه تمطَّـى، ثـم قـال : اللهم إنى أحمدُك وأستعينُك على قريش أن يقيموا على دينك . قـالت : واللـه ما علمته كان يتركها ليلةً واحدةً .

---

[60] فأما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحى، فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الإسراء، وأسمعه مشاهدة فوق سبع سموات ، وهذا أقوى من الوحي ، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة، وأرادوا إعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحى حتى رأى عبد الله الرؤيا، فوافقت ما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلذلك قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، وعلم حينئذ أن مراد الحق بما رآه في السماء، أن يكون سُنة في الأرض وقوي ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للأنصاري، مع أن السكينة تنطق على لسان عمر واقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي – صلى الله عليه وسلم - من المؤمنين ، لما فيه من التنويه من الله لعبده ، والرفع لذكره ، فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنوه به وأفخم لشأنه ، وهذا معنى بيّن فإن الله سبحانه يقول ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4] فمن رَفْع ذكره أن أشاد به على لسان غيره ، (عن الروض الأنف).

أمر أبي قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحاق : فلما اطمأنَّت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها دينَه ، وسرَّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته قال أبو قيس صِرْمة بن أبي أنس أخو بنى عَ دِي بن النجار. قال ابن هشام : أبو قيس ، صِرْمة بن أبي أنس بن صِرْمة بن مالك ابن عَدِيِّ بن عامر بن غَنْم بن عَدِي بن النجار.

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً قد ترهَّب في الجاهلية، ولبس المُسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء، وَهَمَّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها ودخل بيتاً له فاتخذه مسجداً لا تدخله عليه فيه طامِثٌ ولا جُنُبٌ ، وقال : أعبد ربَّ إبراهيم، حين فارق الأوثانَ وكَرِهها، حتى قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ، فأسلم وحَسُنَ إسلامهُ ، وهو شيخ كبير، وكان قوَّالاً بالحقِّ معظِّماً للّه عز وجل في جاهليته ، يقول أشعاراً في ذلك حساناً - وهو الذي يقول :

يقولُ أبو قيس - وأصبح غادياً : ألا ما استطعتُمْ من وَصَاتِى فافعلُوا
فأوصيكم بالله والبِر والتقى وأعراضِكم ، والبرُّ بالله أوَّلُ
وإنْ قومُكم سادوا فلا تَحْسُدُنّهُمْ وإن كنتمُ أهل الرياسةِ فاعدِلُوا
وإن نزلتْ إحدى الدواهي بقومِكم فأنفُسَكم دون العشيرةِ فاجعلُوا
وإن نابَ غُرْم فادحٌ فارفِقُوهُمُ وما حَمَّلُوكم في الملمَّاتِ فاحملُوا
وإن أنتمُ أمْعَرتُمُ فتعفَّفُوا وإن كان فضلُ الخير فيكم فأفضلُوا[61]

[61] أمعرتم : افتقرتم .

قال ابن هشام : ويروى :

وإن ناب أمر فادح فارفدوهُمُ

قال ابن إسحاق : وقال أبو قَيْس صِرْمة أيضاً :

سبّحوا الله شرقَ كُلِّ صبـــاحٍ طلعت شمسُه وكل هلالِ
عالم السِّر والبيان لَدَيْنَـــا ليس ما قال ربُّنا بضلالِ
وله الطيرُ تستريدُ وتأوي في وكورٍ مـــــن آمنـــــاتِ الجبـــــالِ
وله الوحشُ بالفلاةِ تراها في حِقافٍ وفى ظلالِ الرمالِ[63]
وله هَوَّدَت يهودُ ودانـــــتْ كلَّ دينٍ إذا ذكرتَ عُضَالِ[64]
وله شَمَّسَ النصارى وقامـــوا كلَّ عيدٍ لربِّهم واحتفالِ[65]
وله الراهبُ الحبيسُ تـــــراه رَهْنَ بُؤْسٍ وكان ناعمَ بالِ[66]
يا بَنِيَّ - الأرحامَ لا تقطعوهـــا وصِلُوها قصيرة من طِوالِ[67]
واتقوا الله في ضِعافِ اليتامـــى رُبَّما يُسْتَحلُّ غيرُ الحلالِ
واعلموا أن لليتيمِ وليًّـــــا عالماً يهتدي بغيرِ السؤالِ
ثم مالَ اليتيمِ لا تأكلـــــوه إن مالَ اليتيمِ يرعاه وَالِي
يا بَنِيَّ - التخومَ لا تَخْزلوهـــا إن خَـــزْلَ التُّخـــومِ ذو عُقَّـــالِ[68]
يا بَنِيَّ الأيامَ لا تأمَنُوهـــــا واحذَروا مَكْرَها ومَرَّ الليالى
واعلموا أن مَرَّها لنفادِ الخَلْـــقِ ما كانَ من جديدٍ وبالى
واجمعوا أمرَكم على البِرِّ والتقـــوى وتَرْكِ الخَنَا وأخذِ الحلالِ

---

[62] تستريد : تذهب وترجع .
[63] حقاف الرمل : ما تكدس منه في استدارة.
[64] هودت : رجعت .
[65] شمس :تعبد.
[66] الراهب الحبيس : الذي حُبس عن ملذات الدنيا.
[67] أي إن كانت قصيدة افصلوها أنتم من فضلكم .
[68] التخوم : الحدود ، و الخزلان : القطع ، و العقال :المنع

وقال أبو قيس صِرْمة أيضا يذكر ما أكرمهم الله تبارك وتعالى به من الإسلام وما خصهم الله بـه مـن نـزول رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم عليهم :

ثوى في قريش بِضْعَ عَشْرةَ حِجَّةً يذكِّرُ لو يَلْقى صديقاً مواتِيَا
ويَعْرِضُ في أهلِ المواسمِ نفسَه فلم يرَ مَنْ يُؤوِي ولم يَرَ دَاعِيَا
فلما أتانا أظهرَ الله دينَـــه فأصبحَ مسروراً بطيبةَ راضِيَا
وألفى صديقاً واطمأنتْ به النَّوى وكان له عَوْناً من الله باديَا
يَقُصُّ لنا ما قال نوحٌ لقومـهِ وما قال موسى إذ أجابَ المنادِيَا
فأصبح لا يَخْشَى من الناس واحداً قريباً ولا يَخشى من الناسِ نَائِيَا

بذلْنا له الأموالَ من حِل مالِنا وأنفسَنا عندَ الوغَى والتَّآسِيَا
ونعلم أن الله لا شىء غَيْرُهُ ونعلمُ أن الله أفضلُ هاديَا
نعادِي الذي عادَى من الناسِ كلِّهم جميعاً وإن كان الحبيبَ المُصـــافيَا
أقول إذا أدْعوك في كل بَيْعَةٍ : تباركتَ قد اكثَرتُ لاسمِك داعيَا

أقولُ إذا جاوَزْتُ أرضاً مَخُوفَةً : حَنَانَيْك لا تُظْهِرْ عَلَىَّ الأعَادِيَا
فطأ مُعْرِضاً إن الحُتُوفَ كثيرة وإنك لا تُبقى لنفسِك بَاقِيَا
فوالله ما يدرِي الفتى كيفَ يتَّقى إذا هو لم يجعلْ له الله واقيَا
ولا تَحْفِلُ النخلُ المُعِيمةُ ربَّها إذا أصبحت رِيا وأصبح ثاوِيَا[69]

قال ابن هشام : البيت الذي أوله :

فطأ مُعْرِضاً إن الحتوفَ كثيرة

والبيت الذي يليه :

فوالله ما يدري الفتى كيف يتَّقى

لأفنون التَّغْلبى، وهو صُرَيْم بن مَعْشَر، في أبيات له[70] .

---

[69] المعيمة : العاطشة ، والثاوي : الهالك .

[70] الأفنون : الغصن الناعم ، والأفنون أيضاً العجوز الغانية .

قبائلهم وأسماؤهم : قال ابن إسحاق : ونصبتْ عنـدَ ذلـك أحبـارُ يهـودَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوةَ، بغياً وحسداً وضغناً، لما خـص اللـه تعالى به العرب من أخـذه رسـوله منهـم ، وأنضـاف إليهـم رجـالٌ مـن الأوْس والخزرج ، ممن كان عسى[71] على جاهليته - فكانوا أهل نفاق على ديـن آبـائهم من الشِّرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قـومِهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، واتخذوه جُنَّـة م ـن القتـل ونـافقوا فـي السـر، وكـان هواهم مع يهودَ، لتكذيبهم النبيَّ صلى اللـه عليـه وسـلم، وجحـودهم الإسـلام ، وكانت أحبـار يهـود هـم الـذين يسـألون رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ويتعنتونه ، ويأتونه باللَّبس ، ليَلْبِسوا الحقَّ بالباطل ، فكان القـرآن ينـزل فيهـم فيما يسألون عنه ، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام ، كان المسلمون يسألون عنها.

[من بني النضير] : حُيَيّ بن أخْطَب ، وأخواه أبو ياسر بن أخطب ، وجُـدَيّ بن أخطب[72] ، وسلام بن مشْكم ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق ، وسلاَّم بـن أبي الحُقَيق ، وأبو رافع الأعور - وهو الذي قتله أصحاب رسول الله صلى اللـه عليه وسلم بخيبر - والربيع بن الربيع بـن أبـي الحُقيـق ، وعَمـرو بـن جَحَّـاش ، وكعْب بن الأشرف ، وهو من طيئ ، ثم أحد بنى نَبْهان ، وأمه من بنى النضـير، والحجاج بن عمرو، حليف كعب ابن الأشرف ، وكَرْدَم بن قيـس ، حليـف كعـب بن الأشرف فهؤلاء من بني النضير.

---

[71] عسى : بقي .

[72] ذكر فيهم جُدي بن أخطب : بالجيم وهو أخو حيى بن أخطب ، وأما حدي بالحاء، فذكره الدار قطني في نسب عتيبة بن الحارث بن شهاب بن حدي التميمى فارس العرب .

ومن بني ثعلبة بن الفِطْيَوْن[73] : عبد الله بن صُوريا الأعور[74] ، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه وابن صَلُوبا، ومُخَيْريق ، وكان حبرهم ، أسلم .

ومن بني قَينُقاع : زيد بن اللَّصِيت - ويقال : ابن اللُّصَيْت - فيما قال ابن هشام - وسعد بنُ حُنَيف ، ومحمود بن سَيْحان ، وعُزَيْز ابن أبي عُزَيز، وعبد الله بن صَيْف .

قال ابن هشام : ويقال : ابن ضَيْف .

قال ابن إسحاق : وسُوَيْد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنْحاص ، وأشْيَع ، ونُعمان بن آضا، وَبَحْرِيّ بن عمرو، وشَأس بن عديّ ، وشأس ابن قَيْس ، وزيد بن الحارث ، ونُعمان بن عَمرو، وسُكِين بن أبي سُكَين ، وعَدي بن زيد، ونعمان بن أبي أوْفَى، أبو أنس ، ومحمود بن دَحْية، ومالك بن صَيْف .

قال ابن هشام : ويقال : ابن ضيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد، وعازَر، ورافع بن أبي رافع ، وخالد وأزَار بن أبي أزَار.

قال ابن هشام : ويقال : آزر بن آزر.

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة، ورافع بن حُرَيْملة . ورافع

---

[73] الفطيون : كلمة عبرانية، وهي عبارة عن كل من ولي أمر اليهود، وملكهم ، كما أن النجاشى عبارة عن كل من ملك الحبشة، وخاقان ملك الترك ، الخ ..

[74] عبد الله بن صوريا الأعور، وكان أعلمهم بالتوراة، ذكر النقاش أنه أسلم لما تحقق من صفات محمد – صلى الله عليه وسلم - في التوراة وأنه هو. وليس في سيرة ابن إسحاق ذكر إسلامه

ابن خارجة، ومالك بن عَوْف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله ابن سَلام بن الحارث ، وكان حَبْرَهم وأعلمهم ، وكان اسمه الحُصَيْن ، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله . فهؤلاء من بنى قَيْنُقَاع .
ومن بني قريظة : الزبير بن باطا بن وَهْب ، وعَزَّال بن شَمْوِيل ، وكعب بن أسد، وهو صاحب عَقد بنى قريظة الذي نُقض عام الأحزاب ، وشَمويل بن زيد، وجَبَل بن عمرو بن سُكَينة، والنَّحَّام بن زيد، وقَرْدم ابن كعب ، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع ، وأبو نافع ، عَدي ابن زيد، والحارث بن عَوْف ، وكَرْدَم بن زيد، وأسامة بن حَبيب ، ورافع بن رُمَيْلة، وجَبل بن أبي قشَيْر، ووهب بن يَهوذا، فهؤلاء من بنى قريظة.
ومن يهود بني زُريق : لَبِيد بن أعْصم ، وهو الذي أخذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائِه[75]

---

[75] يعنى من الأخذة، وهي ضرب من السحر. وكان لبيد هذا قد سحر رسول الله
- صلى الله عليه وسلم -، وجعل سحره في شُط ومُشاطة، وروي : مشاقة بالقاف ، وهى مشاقة
الكتان ، وجُف طلعة ذكر. وهي فحال النخل ، وهو ذكاره . والجف : غلاف للطلعة،
ويكون لغيرها، ويقال للجف القيقاء وتصنع منه آنية يقال لها : الثلاثل ، قاله أبو
حنيفة الدينوري . ودفنه في بئر ذي أروان : واكثر أهل الحديث يقولون : ذروان
تحت راعوفة البئر، وهي صخرة في أسفله يقف عليها المائح ، وهذا الحديث مشهور
عند الناس ، ثابت عند أهل الحديث ، غير أنى لم أجد في الكتب المشهورة : كم
لبث - رسول الله –صلى الله عليه وسلم - بذلك السحر، حتى شفي منه ، ثم وقعت على
البيان في جامع معمر بن راشد، روى معمر عن الزهري ، قال سُحر رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - سنة يخيل إليه أنه يفعل الفعل ، وهو لا يفعله وقد طعنت المعتزلة
في الحديث وطوائف من أهل البدع ، وقالوا لا يجوز على الأنبياء أن يُسحروا،
ولو جاز أن يسحروا، لجاز أن يُجنوا، ونزع بعضهم بقوله عز وجل : { وَالله يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ} [المائدة:67] والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح ، ولا مطعن فيه من
جهة النقل ، ولا من جهة العقل ، لأن العصمة إنما وجبت لهم في عقولهم وأديانهم وأما أبدانهم ، فإنهم يبتلون فيها، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل ، والأخذة التي أخذها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - من هذا

ومن يهودِ بني حارثة : كنانة بن صُورِيا.
ومن يهود بني عمرو بن عَوْف : قَرْدَم بن عمرو.
ومن يهود بني النجار: سِلْسِلة بن بَرْهام .
فهؤلاء أحبار اليهود، وأهل الشرور والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأصحاب المسألة، والنصْب لأمْر الإِسلام الشرورَ ليطفئوه ، إلا ما كان من عبد الله بن سَلام ومُخَيْريق .

إسلام عبد الله بن سلاَم[76]

قال ابن إسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سَلاَم ، كما حدثني بعضُ أهلهِ عنه وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حَبْراً عالماً، قال : لما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفتُ صفتَه واسمه وزمانَه الذي كنا نتوكَّف[77] له ، فكنتُ مُسِرًّا لذلك صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فلما نزل بقُباء، في بنى عَمْرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة

الفن ، إنما كانت في بعض جوارحه دون بعض . وأما قوله سبحانه : {وَالله يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ} [المائدة:67] فإنه قد روي أنه كان يُحرس في الغزو، حتى نزلت هذه الآية، فأمر حراسه أن ينصرفوا عنه ، وقال لا حاجة لي بكم ، فقد عصمني الله من الناس : أو كما قال . (عن الروض الأنف ج 2 ص 290) بتحقيقنا.

[76] سلام : هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سَلاَم بالتخفيف في المسلمين لأن السلام من أسماء الله، فيقال عبد السلام ، ويقال سلاَّم بالتشديد، وهو كثير.

[77] نتوكف : نتوقع .

ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقـدوم رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم كبَّرْتُ ؟ فقالت لي عمتى، حين سمعت تكبيري : خيبك الله ، والله لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عمران قادماً ما زدْتَ ، قال : فقلت لها : أي عَمَّةُ، هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بُعث
بما بُعث به . فقالت : أي ابن أخى، أهو النبي الذي كنا نُخبر أنه يُبعث مع نَفْـس الساعة[78] ؟ قال : فقلت لها: نعم . قال : فقالت : فذاك إذاً. قال : ثم خرجـتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمتُ ، ثـم رجعـت إلـى أهـل بيـتى، فأمرتهم فأسلموا.

تكذيب قومه له : قال : وكتمت إسـلامي مـن يهـود، ثـم جئـت رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، فقلت له : يا رسولَ الله ، إن يهـود قـومٌ بُهْـتٌ ، وإنـي أحب أن تُدخلَني في بعـض بيوتِـك ، وتغيِّبنـي عنهـم ، ثـم تسـألهم عنـى حـتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا بإسلامي ، فإنهم إن علمـوا بـه بهتـوني وعابوني .

قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فـي بعـض بيـوته ، ودخلـوا عليه ، فكلموه وساءلوه ، ثم قال لهم : أي رجـل الحُصَـيْن بـن سـلام فيكـم ؟ قالوا : سـيدنا وابـن سـيدنا، وحَبْرنـا وعالمنـا. قـال : فلمـا فرغـوا مـن قـولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشرَ يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في

---

[78] وهذا الكلام في معنى قوله عليه السلام : "إني لأجد نفس الساعة بين كتفي "،
وفي معنى قوله تعالى :{ نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [سبأ: 46]
ومن كان بين
يدي طالبه ، فنفس الطالب بين كتفيه ، وكأن النفس في هذا الحديث
عبارة عن الفتن المؤذنة بقيام الساعة، وكان بدؤها حين ولي أمته
ظهره خارجاً من بين ظهرانيهم
إلى الله تعالى.

التوراة باسمه وصفته ، فإنى أشهدُ أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن به وأصدقه وأعرفه ، فقالوا : كذبتَ ثم واقعوا بى .
قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهْت ، أهل غدر وكذب وفجور! قال : فأظهرتُ إسلامى وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خالدةُ بنت الحارث ، فحسن إسلامُها.

من حديث مخيريق : قال ابن إسحاق : وكان من حديث مُخَيْريق ، وكان حَبْراً عالماً، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ، وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلف دينه ، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم أحد يوم السبت ، قال : يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نصرَ محمد عليكم لحقٌّ . قالوا : إن اليومَ يوم السبت ، قال : لا سبتَ لكم ، ثم أخذ سلاحَه ، فخرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأحد، وعهد إلى مَنْ وراءَه من قومه : إن قُتلت هذا اليوم ، فأموالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتل . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - يقول : مُخَيْريق خيرُ يهود[79]. وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالَه ، فعامة صدقاتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها.

حديث صفية بنت حيي : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم قال : حُدثت عن صَفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت : كنت أحَبَّ ولد أبي إليه ، وإلى عمى أبي : ياسر، لم ألْقَهما قط مع ولد

---

[79] " مخيريق خير يهود " : ومخيريق مسلم ، ولا يجوز أن يقال في مسلم : هو خير النصارى، ولا خير اليهود، لأن أفعل من كذا إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه . فإن قيل : وكيف جاز هذا؟ قلنا : لأنه قال خير يهود ولم يقل خير اليهود،
ويهود اسم علم كثمود، يقال إنهم نسبوا إلى يهود بن يعقوب ، ثم عربت الذال دالاً، فإذا قلت : اليهود بالألف واللام ، احتمل وجهين النسب والدين الذي هو اليهودية، أما النسب فعلى حد قولهم التيم في التيميين . وأما الدين فعلى حد قولك : النصارى والمجوس أعني : أنها صفة، لا أنها نسب إلى أب . وفي القرآن لفظ ثالث ، لا يتصور فيه إلا معنى واحد، وهو الدين دون النسب ، وهو قوله سبحانه : {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى}.[البقرة: 135] بحذف الياء، ولم يقل : كونوا يهوداً، لأنه أراد التهود، وهو التدين بدينهم ، ولو قال : كونوا يهوداً بالتدين ، لجاز أيضاً على أحد الوجهين المتقدمين ، ولو قيل لقوم من العرب : كونوا يهودَ بغير تنوين ، لكان محالاً، لأن تبديل النسب حقيقة محال

لهما إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قـدم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم المدينة، ونزل قُبَاء في بنى عَمرِو بن عوف غدا عليه أبي، حُيـى بـن أخطـب ، وعمى أبو ياسر بن أخطب ، مُغَلَّسَيْن .
قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس . قالت : فأتَيا كَـالَّيْن كسـلانين ساقطين يمشيان الهوينَى . قالت : فهشِشْتُ إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفتَ إليَّ واحد منهما، مع ما بهما من الغَمِّ . قالت : وسمعت عمى أبا ياسـر، وهو يقول لأبي ، حُيىِّ بن أَخْطَب : أهو هو؟ قـال : نعـم واللـه : قـال : أتعرفـه وتُثْبته ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسِك منه ؟ قال : عداوتُهُ والله ما بَقِيتُ .
المنافقون بالمدينة : قال ابن إسحاق : وكان ممن انضاف إلى يهود ممـن سمى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج ، واللـه أعلـم : مـن الأوس ، ثـم من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بنى لَوْذان بن عمـرو بـن عوف : زُوَيّ بن الحارث .
ومن بني حُبيب بن عمرو بن عـوف : جُلاس بـن سُـوَيْد بـن الصـامت وأخـوه الحارث بن سُوَيْد. وجُلاس الذي قال - وكان ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في غزوة تبوك - لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شَر من الحُمُـر، فرَفـع ذلـك من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرُ بنُ سعد، أحـدهم ، وكـان في حِجر جُلاس ، خَلَفَ جُلاس على أمه بعد أبيـه ، فقـال لـه عُمَيْـر بـن سـعد : والله يا جُلاس ، إنك لأحبُّ الناس إليَّ، وأحسنهم عندي يـداً، وأعزهـم علـيَّ أن يصيبه شىء يكرهه ، ولقد قلـت مقالـة لئـن رفعتُهـا عليـك لأفضـحَنَّك ، ولئـن صَمتُّ عليها ليهلكن دينى، ولإحداهما أيسرُ علىَّ من الأخـرى . ثـم مشـى إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر له ما قال جُلاس ، فحلف جُلاس بـالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كذب علىَّ عُمَيْر، ومـا قلـتُ مـا قـال عُمَيْر بن سعد. فأنزل الله عز وجل فيه : {يَحْلِفُونَ بِالله مَا قَـالُوا وَلَقَـدْ قَـالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَـا نَقَمُـوا إِلَّا أَنْ أَغْنَـاهُمْ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُنْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمْ اللـه عَـذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } [التوبة: 74] .
قال ابن هشام : الأليم : الموجع . قال ذو الرمة يصف إبلاً :
وتَرْفعُ من صُدورٍ شَمرْدَلات يَصُكُّ وجوهَها وهجٌ أليمُ[80]
وهذا البيت في قصيدة له .
قال ابن إسحاق : فزعموا أنه تاب فحسُنت توبتُه ، حـتى عُـرف منـه الخيـرُ والإسلام .
وأخوه الحارث بن سُوَيْد، الذي قتل المجذَّرَ بنَ زِياد البلوي ، وقيسَ بن زيـد، أحد بني ضُبَيْعة، يوم أحـد. خـرج مـع المسـلمين ، وكـان منافقـاً، فلمـا التقـى الناس عدا عليهما، فقتلهما ثم لحق بقريش.

---

[80] الشمردلات : الإبل الطوال .

قال ابنُ هشام : وكان المجـذَّر[81] بـن زيـاد قتـل سُـوَيْدَ بـن صـامت فـي بعـض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، فلما كان يوم أحد طلب الحارث بـن سُوَيد غرةَ المجذَّر بن زياد، ليقتله بأبيه ، فقتله وحدَه ، وسمعت غيرَ واحد مـن أهل العلم يقول ، والدليل علي أنه لم يقتل قيس بن زيـد، أن ابـن إسـحاق لـم يذكره في قتلى أحد.

قال ابن إسحاق : قَتل سُوَيدَ بن صامت معاذُ بن عَفْراء غِيلةً، في غيـر حـرب ، رماه بسهم فقتله قبل يومَ بعاث .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة، ثـم بعـث إلـى أخيه جُلاس يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغني عن ابـن عبـاس - : { كَيْـفَ يَهْـدِي اللـه قَوْمًـا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُـولَ حَـقٌّ وَجَـاءَهُمْ الْبَيِّنَـاتُ وَاللـه لَا يَهْـدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: 86] إلى آخر القصة[82] ومـن بنـي ضُـبَيْعة بـن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف :

بِجَاد بن عثمان بن عامر.

---

[81] المجذر : اسمه عبد الله ، والمجذر هو : الغيظ والحنق .

[82] قال سبحانه : } كَيْفَ يَهْدِي الله قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ{ [آل عمران: 86] فقيل : إن هذه الآية مقصورة على سببها مخصوصة بمن سبق من علم الله أنه لا يهديه من كفره ، ولا يتوب عليه من ظلمه ، وإلا فالتوبة مفروضة، وقد تاب قوم بعد ارتدادهم ، فقبلت توبتهم . وقيل ليس فيها نفي لقبول التوبة، فإنه قال : كيف يهدي الله ، ولم يقل لا يهدي الله ، على أنه قد قال في آخرها :}وَالله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{ [آل عمران: 86] وذلك يرجع إلى الخصوص ، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية في الظلمة التي عند الصراط بالنور التام يوم القيامة، فإن ذلك منتف عمن مات غير تائب من كفره وظلمه . والله أعلم .

ومن بني لَوْذان بن عَمْرو بن عَوْف : نَبْتَل بن الحارث ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيما بلغني - : من أحبَّ أن ينظر إلى الشيطان ، فلينظر إلى نَبْتَل بن الحارث ، وكان رجلاً جسيماً أذلم[83] ثائر شعر الرأس ، أحمر العينين أسْفَع[84] الخدَّين ، وكان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث إليه فيسمع منه ، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين ، وهو الذي قال: إنما محمد أذُن ، من حدّثه شيئاً صدقه ، فأنزل الله عز وجل فيه : {وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِالله وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ الله لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(61) } [التوبة: 61].

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ رجال بَلْعجلان أنه حُدِّث : أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال له إنه يجلس إليك رجل أذلم ، ثائرُ شعرِ الرأس ، أسْفَع الخدين أحمر العينين ، كأنهما قِدْران من صُفْر، كبده أغلظ من كبدِ الحمار، ينقل حديثَك إلى المنافقين ، فاحذرْه . وكانت تلك صفةُ نَبْتَل بن الحارث ، فيما يذكرون .

ومن بنى ضُبَيعة : أبو حبيبة بن الأزْعَر، وكان ممن بنَى مسجدَ الضرار، وثعلبة بن حاطب ، ومُعَتِّب بن قُشَير، وهما اللذان عاهدا الله لئن اتانا من فضله لنصدَّقَنَّ ولنكونن من الصالحين ، إلخ القصة . ومُعَتِّب الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا. فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنْ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا } [آل عمران: 154] إلى آخر القصة . وهو الذي قال يوم الأحزاب : كان محمد يَعِدُنا أن نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر، وأحدُنا لا يأمن

---

[83] الأذلم : المسترخي الشفتين . ويقال فيه هو الأسود الطويل من كل شيء

[84] الأسفع : من تضرب حمرته إلى سواد.

أن يذهَب إلى الغائط فأنزل الله عز وجل فيه : { وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا } [الأحزاب: 12] والحارث ابن حاطب .

قال ابن هشام : مُعَتِّب بن قُشَيْر، وثَعْلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي ممن أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبةَ والحارث في بنى أمية بن زيد في أسماء أهل بدر. قال ابن إسحاق : وعَبَّاد بن حُنَيْف ، أخو سهل بن حُنَيف وبَحْزَج ، وهم ممن كان بنى مسجد الضرَار، وعمرو بن خِذَام ، وعبد الله بن نَبْتَل . ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عَوْف : جارية بن عامر بن العَطَّاف ، وابناه : زيد ومُجمَّع ، ابنا جارية . وهم ممن اتخذ مسجدَ الضرار.

وكان مُجَمَّع غلاما حدثا قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أخرب المسجدُ، وذهب رجال من بني عمرو ابن عوف ، كانوا يصلون ببني عمرو بن عوف في مسجدهم ، وكان زمان عمر بن الخطاب ، كُلِّم في مُجَمِّع ليصلى بهم فقال : لا، أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضِّرار؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذي لا إله إلا هو، ما علمتُ بشىءٍ من أمرهم ، ولكني كنت غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا لا قرآنَ معهم ، فقدمونى أصلى بهم ، وما أرى أمرَهم ، إلا على أحْسن ما ذكروا، فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه

ومن بني أمية بن زيد بن مالك : وَديعة بن ثابت ، وهو ممن بنى مسجدَ الضرار، وهو الذي قال : إنما كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله تبارك وتعالى : { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} [التوبة: 65] إلى آخر القصة .

ومن بني عُبَيد بن مالك : خِذام بن خالد، وهو الذي أخـرج مسـجد الضـرار مـن داره ، وبشر ورافع ، ابنا زيد.
ومن بني النَّبِيت - قال ابن هشام : النبيت : عمرو بن مالك ابـن الأوس - قـال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بـن مالـك بـن الأوْس : مِرْبع بن قَيْظِي ، وهو الذي قال لرسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم حين أجاز في حائطه[85] ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامد إلـى أحـد : لا أحِلّ لك يا محمد، إن كنت نبيا، أن تمر في حائطي ، وأخذ فـي يـده حفنـة مـن تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصـيب بهـذا الـتراب غيـرَك لرميتـك بـه ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فهذا الأعمى، أعمى القلب ، أعمى البصيرة . فضربه سعد ابن زيـد، أخـو بنـى عبـد الأشهل بالقوس فشجَّه . وأخوه أوس بن قَيْظى وهو الـذي قـال لرسـول اللـه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسـول اللـه ، إن بيوتنـا عَـوْرة، فأذَنْلنـا فلنرجعْ إليها، فأنزل الله تعالى فيه :{ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَـا هِـيَ بِعَـوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } [الأحزاب: 13].
قال ابن هشام : عَوْرة أي مُعْوَرَّة للعدو وضائعة وجمعها : عَوْرات
قال النابغة الذبيانى :
متى تَلْقَهم لا تلقَ للبيت عَوْرَةً ولا الجارَ مَحْروماً وَلا الأمرَ ضائعا
وهذا البيت فـي أبيـات لـه ، والعـورة أيضـاً : عَـوْرة الرجـل ، وهـى حُرْمتـه . والعورة أيضاً السَّوْءَة.
قال ابن إسحاق : ومن بني ظَفَر، واسم ظَفَر : كعب بن الحارث

---

[85] الحائط : البستان .

ابن الخزرج : حاطب بن أمية بن رافع ، وكان شيخاً . جسيماً قد عَسَا[86] في جاهليته وكان له ابن من خيار المسلمين ، يقال له يزيد ابن حاطب ، أصيب يوم أحد حتى أثبتته الجراحات ، فحُمل إلى دار بني ظفر.
قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة أنه اجتمع إليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يابن حاطب بالجنة، قال : فنجم[87] نفاقُه حينئذٍ ، فجعل يقول أبوه :أجل جنة والله من حَرْمل ، غررتم والله هذا المسكين من نفسهِ .
قال ابن إسحاق : وبُشَيْر بن أبَيْرق ، وهو أبو طُعمَة، سارق الدِّرْعين ، الذي أنزل الله تعالى فيه : { وَلَا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللـه لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمً } [النساء: 107] : وقُزْمان : حليف لهم .
قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار. فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً حتى قتلَ بضعةَ نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحاتُ ، فحُمل إلى دار بنى ظَفر، فقال له رجال من المسلمين : أبشر يا قُزْمَان ، فقد أبليتَ اليوم ، وقد أصابك ما ترى في الله . قال : بماذا أبشر، فواللهِ ما قاتلتُ إلا حمية عن قومي ، فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهماً من كِنانتِه ، فقطع به رواهشَ[88] يده ، فقتل نفسَه.
قال ابن إسحاق : ولم يكن في بنى عبد الأشْهل منافق ولا منافقة يُعلم ، إلا أن الضحاك بن ثابت ، أحد بنى كعب ، رهْط سعد بن ،

---

[86] عسا : أسن .
[87] نجم : ظهر ووضح .
[88] الرواهش : العصب التي في ظاهر الذراع واحدتها راهشة.

زيد، وقد كان يُتهم بالنفاق وحُب يهود، قال حسان بن ثابت :

من مُبلغُ الضحاكِ أن عروقَــه أعْيتْ على الإسلامِ أن تتمَجَّدَا
أتحِب يُهْدانَ الحجازِ ودينَهــم كِبدَ الحِمارِ، ولا تحب محمدا
ديناً لعَمْري لا يوافق دينَنــا ما استنَّ آل في الفضاءِ وخَوَّدا

وكان جلاس بن سُوَيْد بن صامت قبل توبته - فيما بلغني - ومُعتِّب بـن قُشَـير، ورافع بن زيد، وبشر، وكانوا يُدْعَوْن بالإسلام ، فدعاهم رجـال مـن المسـلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فـدعوهم إلـى الكهان ، حِكام أهل الجاهلية، فأنزل الله عز رجل فيهم : {أَلَـمْ تَـرَ إِلَـى الَّـذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَـى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيـدُ الشَّـيْطَانُ أَنْ يُضِـلَّهُمْ ضَـلَالًا بَعِيـدًا } [النساء: 60] إلى آخر القصة .

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجار : رافع بن وَدِيعة، وزَيْد بن عَمرو، وعَمْـرو بـن قيْس ، وقَيس بن عَمْرو بن سَهْل .

ومن بني جُشَم بن الخزرج ، ثم من بني سَـلِمَة : الجـدُّ بـن قَيْـس ، وهـو الـذي يقول : يا محمد، ائذن لي ولا تفتنِّى، فأنزل الله تعالى فيهم { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِـي وَلَا تَفْتِنِّـي أَلَا فِـي الْفِتْنَـةِ سَـقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّـمَ لَمُحِيطَـةٌ بِالْكَـافِرِين } [التوبة: 49] : إلى آخر القصة.

ومـن بنـي عَـوْف بـن الخـزرج : عبـدُ اللـه بـنُ أبَـيِّ ابـنُ سَـلول ، وكـان رأس المنافقين ، وإليه يجتمعون وهو الذي قال : لئـن رجعنـا إلـى المدينـة ليخرجـن الأعزُّ منها الأذلَّ ، في غزوة بنى المصْطَلق . وفـي قـوله ذلـك ، نزلـت سـورة المنافقين بأسرها. وفيه وفي وديعة - رجل مـن بنـي عـوف - ومالـك بـن أبـي قَوْقَل ، وسُوَيْد، ودَاعس وهم من رهط عبد الله بنُ أبي ابن سَلُول : وعبد الله بن أبي ابن سَلول . فهؤلاء

النفر من قومِهِ الذين كانوا يدُسُّون إلى بني النضير حين حاصرهم رسول اللــه صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا، فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيـع فيكم أحداً أبداً وإن قُوتلتم لننصرنكم ، فأنزل الله تعالى فيهم : {أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُـونَ لإِخْـوَانِهِمْ الَّـذِينَ كَفَـرُوا مِـنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ لَئِـنْ أُخْرِجْتُـمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَالله يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الحشر: 11] ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله : { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّـا كَفَـرَ قَـالَ إِنِّـي بَرِيـءٌ مِنْـكَ إِنِّـي أَخَافُ الله رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر: 16]

المنافقون من أحبار اليهود : قال ابن إسحاق : وكان ممن تعوَّذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق، من أحبار يهود.

من بنى قينُقاع : سعد بن حُنَيْـف ، وزَيْـد بـن اللُّصـيْت ، ونعم ان بـن أوْفَـى بـن عمرو، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللُّصَيْت ،0 الذي قاتـل عمـر بـن الخطـاب رضى الله عنه بسوق بنى قينقاع ، وهو الذي قال ، حين ضلت ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: يزعمُ محمد أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لا يدري أين ناقته ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدوُّ الله فـي رحله ، ودَلَّ الله ،تبارك وتعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم على ناقته : "إن قائلاً قال : يزعمُ محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علَّمنى الله ، وقـد دلّنـي اللـه عليهـا، فهـى فـي هـذا الشِّـعْب ، قـد حبستها شجرة بزمامِها، فذهب رجـال مـن المسـلمين ، فوجـدوها حيـث قـال رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وكمـا وصـف . ورافـع ابـن حُرَيْملـة، وهـو الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا -

حين مات : قد مات اليوم عظيم من عظماء المنـافقين ورفاعـة بـن زَيْـد بـن التَّابوت ، وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبـت عليـه الريح ، وهـو قافـل م ن غـزوة بنـى المصْـطَلَق ، فاشـتدت عليـه حـتى أشـفق المسلمون منها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا، فإنمـا هبت لموت عظيم من عظماء الكفار. فلما قدم رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التَّابوت مات ذلك اليوم الـذي هَبَّـت فيـه الريح . وسِلْسلة بنَ بِرْهام وكنانة بن صُورِيا.

طرد المنافقين مـن المسـجد : وكـان هـؤلاء المنـافقون يحضُـرون المسـجد فيسـتمعون أحـاديث المسـلمين ، ويَسْـخَرون ويسـتهزئون بـدينهم ، فاجتمع يوماً في المسجد منهـم نـاس ، فرآهـم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قَد لصق بعضُهم ببعض ، فأمر بهـم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاخرجوا من المسـجد إخراجـاً عنيفـاً، فقـام أبو أيوب ، خالدُ ابنُ زيد بنُ كُلَيْب ، إلى عُمر بن قَيْس ، أحد بنى غَنْم بـن مالـك بن النجار - كان صـاحب آلهتهـم فـي الجاهليـة - فأخـذ برجلـه فسـحبه ، حـتى أخرجه من المسجد، وهو يقول : أتخرجني يا أبا أيوب من مرْبد بني ثعلبـة، ثـم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وَدِيعة، أحد بني النجار فلبَّبـه بردائـه ثـم نـثره نثراً شديداً، ولطم وجهَه ، ثم أخرجه من المسجد، وأبـو أيـوب يقـول لـه : أفّ لك منافقاً خبيثاً . أدراجَك يا منافق من مسـجد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم

قال ابن هشام : أي ارجعْ من الطريق التي جئتَ منها. قال الشاعر :

فولّى وأدبرَ أدراجَه وقـد باء بالظُّلْم من كان ثَمْ

وقام عُمارة بن حَزْم إلى زيد بن عمرو، وكان رجلاً طويل اللحية، فأخذ بلحيتـه فقاده بها قوداً عنيفاً حتى أخرجه من المسجد، ثـم جمـع عُمـارة يَـدَيْه فلَـدَمَه بهما في صدرِهِ لَدْمَة خَرَّ منها. قال : يقول : خدشْتني

يا عُمارة قال : أبعدك الله يا منافقُ ، فما أعدَّ الله لـك مـن العـذاب أشـدُّ مـن ذلك ، فلا تقربنَّ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال ابن هشام : اللَّدْم : الضرب ببطن الكف . قال تَميم بنُ أبيّ ابنَ مُقْبِل :
وللفؤادِ وجِيب تحتَ أبْهــرِه لَدْمَ الوليدِ وراءَ الغَيْبِ بالحَجرِ[89]
قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر: عرق القلب .
قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد[90] ، رجل مـن بنـى النجـار، كـان بـدْرياً، و أبـوِ محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصْرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالـك بـن النجار: إلى قَيْس بن عمرو بن سهل ، وكان قيـس غلامـاً شـاباً، وكـان لا يُعلـم في المنافقين شاب غيره ، فجعل يدفع في قفاه حـتى أخرجـه مـن المسـجد.
وقام رجل من بَلْخُدْرَة[91] بن الخزرج ، رهط أبي سعيد الخُدْري ، يقال لـه : عبـد الله بن الحارث حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنــافقين من المسجد إلى رجل يقال له : الحارث بن عَمْرو، وكان ذا جُمَّة، فأخذ بجُمتـه فسحبه بها سحباً عنيفاً،على ما مر به من

---

[89] البيت لتميم بن أبي بن مقبل ، واللدم : الضرب ، والغيب : الغائر من الأرض .

[90] وذكر ابن إسحاق أبا حمد، وقال : هو رجل من بنى النجار، ولم يعرفه بأكثر
من هذا، وهو : أبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة
ابن غَنم بن مالك بن النجار، يعد من الشاميين ، وهو الذي زعم أن الوتر واجب ،
فقال عبادة : كذب أبو محمد يعنى أخطأ، وهو معدود من البدريين عند الواقدي
وطائفة، ولم يذكره ابن إسحاق فيهم . وراجع الإصابة لابن حجر تصدر قريباً بتحقيقنا.

[91] يريد: من بني الخدر

الأرض ، حتى أخرجه من المسجد. قال يقول المنافقُ : لقد أغلظْتَ يابن الحارث فقال له : إنك أهل لذلك ، أي عدوَّ الله لما أنزل الله فيك : فلا تقربنَّ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنك نَجِس وقام رجل من بني عَمْرو بن عَوْف إلى أخيه زُوَيِّ بن الحارث فأخرجه من المسجد إخراجاً عنيفاً، وأقَّف منه ، قال : غلب عليك الشيطان وأمْرُهُ .
فهؤلاءِ من حضر المسجدَ يومئذ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراجهم .
ما نزل في اليهود والمنافقين : ففي هؤلاء من أحبار يهود، والمنافقين من الأوس والخزرج ، نزل صدرُ سورةِ البقرة إلى المئة منها - فيما بلغني - والله أعلم .
يقول الله سبحانَه وبحمده : { الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة: 1،2] أي لا شك فيه .
قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُؤيَة الهُذَلى :
فقالوا عَهِدْنا القومَ قد حَصَروا بـه فلا رَيْبَ أن قد كان ثَمَّ لَحيمُ[92]
وهذا البيت في قصيدة له ، والريب أيضاً : الريبة . قال خالد بن زُهير الهُذلي :
كأننى أرِيبُة بريْب[93]

---

[92] لحيم : قتيل .
[93] والرجز الذي استشهد ببيت منه :
يا قوم مالي وأبا ذؤيب كنت إذا أتينه من غيب
يشم عطفي ويمس ثوبي كأنني أريبه بريب
وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بامرأته ، فلذلك ، قال هذا.

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كأننى أربته بريْب

وهذا البيت في أبيات له . وهو ابن أخى أبي ذُؤيْب الهُذَلي .

{ًى لِلْمُتَّقِينَ} أي الذين يحذرون من الله عقوبتَه في تَرْك ما يعرفون من الهدَى، ويرجون رحمتَه بالتصديق بما جاءهم منه {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}[94] [البقرة: 3] أي يقيمون الصلاة بفرْضِها، ويؤتون الزكاة احتساباً لها { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } [البقرة :4] ، أي يصدقونك بما جئت به

---

[94] كانت بالأصول القديمة : والذين يقيمون الصلاة، وهنا أغفل التلاوة : وإنما هو{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ{ [البقرة: 3] وكذلك وجدته منبهاً عليه في حاشية الشيخ : وفي الإيمان بالغيب أقوال ، منها أن الغيب ههنا ما بعد الموت من أمور الآخرة، ومنها : أن الغيب : القدر، ومنها قول من قال : إن الغيب القلب ، أي يؤمنون بقلوبهم ، وقيل : يؤمنون بالغيب ، أي بالله عز وجل ، وأحسن ما في هذه الأقوال قول الربيع ابن أنس ، أي : يؤمنون بظهر الغيب ، أي : ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا عنهم ، ويدل على صحة هذا التأويل : بسياقة الكلام ، مع قوله عز وجل {يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} [الأنبياء: 49] فلا يحتمل قوله : يخشون ربهم بالغيب إلا تأويلاً واحداً، فإليه يرد مختلف فيه : وقوله سبحانه : {لَا رَيْبَ فِيهِ}، كثير من الناس ، قيل : هو على الخصوص في المؤمنين ، أي لا ريب فيه عندهم . قال المؤلف ، رضي الله عنه : وهذا ضعيف لأن التبرئة تعطي العموم ، وأصح منه : أن الكلام ظاهره الخبر، ومعناه : أي لا ترتابوا، وهذا النهي عام لا يخصص ، وأدق من هذا أن يكون خبراً محضاً عن القرآن، أي : ليس فيه ما يريب ، تقول : رابني منك كذا وكذا، إذا رأيتَ ما تُنكر، وليس في قرآن ما تنكره العقول . وإن كان مصدراً فقد يعبر به عن الشيء الذي يريب ، كما يعبر بالضيف عن الضائف ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى {لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ} [آل عمران: 9] فهذا خبر، لأن النهي لا يكون في موضع الصفة . وقوله :{ لَا رَيْبَ فِيهِ} في موضع الصفة ليوم ، والحياة بعد الموت ليس فيها ما يريب ، فالله سبحانه على الإعادة أقدر، وليس الريب بمعنى الشك على الإطلاق .

(عن الروض). وراجع الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.

من الله عز وجل ، وما جاء به مَنْ قبلك من المرسلين ، لا يفرقـون بينهـم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم {وَبِالْآخِرَةِ هُـمْ يُوقِنُـونَ } [البقـرة: 4] أي بالبعثِ والقيامةِ والجنةِ والنارِ والحسابِ والميـزانِ أي هـؤلاء الـذين يَزْعُمـون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك{ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ } {أي على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم {وَأُوْلَئِـكَ هُـمْ الْمُفْلِحُـونَ } [البقرة: 5] أي الذين أدركوا ما طلبوا ونَجَوْا من شرِّ ما منه هربوا. {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } {أي بما أنزل إليك ، وإن قالوا إنا قـد آمنـا بمـا جاءنـا قبلـك { سَـوَاءٌ عَلَيْهِـمْ أَأَنـذَرْتَهُمْ أَمْ لَـمْ تُنـذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُـونَ } [البقرة: 6] ، أي أنهم كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحـدوا مـا أخـذ عليهـم الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك ، وبما عندهم مما جاءهم به غيـرك ، فكيـف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً، وقد كفروا بما عندهم من علمك .{ خَتَمَ الله عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَـاوَةٌ } عـن الهـدَى أن يصـيبوه أبدا، يعني بما كذبوك به من الحق الذي جاءك من ربِّك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكلِّ ما كان قبلك {وَلَهُمْ } بما هم عليه من خلافك {عَذَابٌ عَظِيمٌ}[البقرة: 7]. فهذا في الأحْبار من يهود، فيما كذبوا به من الحقِّ بعدَ معرفته .

{وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِـالله وَبِـالْيَوْمِ الْآخِـرِ وَمَـا هُـمْ بِمُـؤْمِنِينَ } يعنـى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم {يُخَادِعُونَ الله وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَمَـا يَخْـدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَـهُمْ وَمَـا يَشْـعُرُونَ(9)فِـي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ [95] [البقرة:9، 10] أي شك { فَزَادَهُمْ الله مَرَضًا } أي شكا {وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيـمٌ بِمَا كَـانُوا يَكْـذِبُونَ(10)وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمْ لَا تُفْسِـدُوا فِـي الْأَرْضِ قَـالُوا إِنَّمَـا نَحْـنُ مُصْلِحُونَ } [البقرة: 10،11] أي إنما نريد الإصلاحَ بين الفريقين :

---

[95] } فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ{ [البقرة: 10] وأصل المرض : الضعف وفتور الأعضاء وهو هاهنا ضعف اليقين وفتور القلب عن كد النظر، وعطف : }فَزَادَهُمْ الله{وإن كان الفعل لا يعطف على الاسم ولا على مثل هذه الجملة، لو قلت في الدار زيد، فأعطيته درهماً لم يجز ولكن لما كان في معنى قوله }فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ{ كمعنى مرضت قلوبهم ،صح عطف الفعل عليه -والله أعلم

من المؤمنين وأهل الكتاب ، يقول الله تعالى { أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ(12)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ(13)وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ }[البقرة: 12ـ14] من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب بالحق ، وخلاف ما جاء به الرسول {قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ }أي إنا على مثل ما أنتم عليه .{ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ }:
أي إنما نستهزئ بالقوم ، ونلعب بهم ، يقول الله عز وجل : { اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ{[البقرة: 15].
قال ابن هشام : يَعْمَهون : يحارون تقول العرب : رجل عَمة وعامه: أي حيران ، قال رُؤبة بن العَجاج يصف بلداً :

أعْمى الهُدى بالجاهلين العُمَّه

وهذا البيت في أرجوزة له . فالعُمَّه : جمع عامه : وأما عَمِه : فجمعه : عَمِهون . والمرأة : عَمِهة وعَمْهاء.
}أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى{أي الكفر بالإيمان { فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}.

قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلاً فقال تعالى :} مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِ ي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ{ [البقرة: 17]أي لا يُبصرون الحقَّ ويقولون به حتى ، إذا خرجوا به من ظلمةِ الكفر أطفئوه بكفرِهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم

الله في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هُـدًى، ولا يسـتقيمون علـى حـق ﴿صُـمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]أي لا يرجعون إلى الهُـدَى، صُـم بكـم عُمى عن الخير، لا يرجعون إلى خير، ولا يصيبون نجـاة مـا كـانوا علـى مـا هـم عليه ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْـدٌ وَبَـرْقٌ يَجْعَلُـونَ أَصَـابِعَهُمْ فِـي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَالله مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.[البقرة: 19]

قال ابن هشام : الصَيِّب : المطهر، وهو مـن صـاب يصـوب ، مثـل قـولهم : السيِّد، من سـادَ يسـود، والميـت : مـن مـات يمـوت ، وجمعـه صـيائِب . قـالَ عَلْقمة بن عَبَدَة، أحد بنى ربيعة بن مالك بن زيد مَناة ابن تميم :

كأنهمُ صابت عليهم سحابـة صواعقُها لطيرِهنَّ دَبيبُ

وفيها :

فلا تَعْدِلي بينى وبين مُغَمَّر سَقَتْكَ رَوَايا المُزْنِ حيثُ تَصوبُ[96]

وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أي هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذَر مـن القتـل من الذي هم عليه من الخلاف والتخوف لكم ، على مثل ما وُصف . مـن الـذي هو في ظُلمة الصَّيْب . يجعل أصابعَه فـي أذنيـه مـن الصـواعق حَـذَرَ المـوت . يقول : والله مُنْزِل ذلك بهم من النَّقْمة . أي هو محيط بالكافرين ﴿يَكَادُ الْبَـرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أي لشدة ضوء الحق ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيـهِ وَإِذَا أَظْلَـمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾أي يعرفون الحق ويتكلمون به . فهم من قولهم به على استقامة فإذا

---

[96] المغمر : الساذج الذي لم يجرب الأمور.

ارتكسوا منه في الكفر قاموا متحيرين }وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ{ أي لما تركوا من الحق بعد معرفته}إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{ [البقرة: 20]

ثم قال :} يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ{ للفريقين جميعاً : من الكفار والمنافقين . أي وحِّدوا ربّكم }الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ {[البقرة: 21،22]

قال ابن هشام : الأندادُ : الأمثالُ : واحدهم نِد. قال لَبيد بن ربيعة :

أَحْمَدُ الله فلا نِدَّ لـــه بيديْه الخيرُ ما شاء فَعَلْ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أي لا تُشركوا بالله غيرَه من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا ربَّ لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك لا فيه . }وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا{أي في شك مما جاءكم }فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ{، أي من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه }كُنتُمْ إِنْ صَادِقِينَ* فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ{ [البقرة: 23،24] أي لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر.

ثم رغَّبهم وحذَّرهم نقضَ الميثاق الذي أخذ عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم ، وشأن أبيهم آدم عليه

السلام وأمره ، وكيف صنع به في خالف عن طاعته ، ثم قال : {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ} [97] للأحبار من يهود {اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} أي بلائى عندكم وعند ابائكم ، لما كان نجاهم به من فرعون وقومه {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي} الذي أخذتُ في أعناقكم لنبيي أحمد، إذا جاءكم {أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من أحداثكم {وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} أي : أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من

---

[97] قوله سبحانه {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} [البقرة:41]: ووهم في التلاوة إذ كان بالأصل : " يا أهل الكتاب "، كما وهم في أول السورة وبنو إسرائيل : هم بنو يعقوب ، وكان يسمى : إسرائيل ، . أي سري اللّه، لكن لم يذكروا في القراءة إلا أضيفوا إلى إسرائيل ، ولم يُسموا فيه : بنو يعقوب ، ومتى ذكرا إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يسم إسرائيل ، وذلك لحكمة فرقانية، وهو أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم ، وتنبيهاً من غفلتهم سُموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله، فإن إسرائيل اسم مضاف إلى الله تعالى في التأويل. ألا ترى : كيف نبه على هذا المعنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - حين دعا إلى الإسلام قوماً، يقال لهم : بنو عبد الله، فقال لهم : يا بنى عبد الله، إن الله قد حسَّن اسم أبيكم ، يحرضهم بذلك على ما يقتضيه اسمهم من العبودية لله، فكذلك قوله سبحانه : {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} إنما ورد في معرض التذكرة لهم بدين أبيهم ، وعبوديته للّه ، فكان ذكرهم بهذا الاسم أليق بمقام التذكرة والتحريض من أن . يقول لهم : يا بنى يعقوب ،، ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره بإسحاق ، ثم يعقوب كان لفظ يعقوب أولى بذلك المقام ، لأنها موهبة بعقب آخر، وبشرى عقب بها بشرى، وإن كان اسم يعقوب عبرانياً، ولكن لفظه موافق للعربي في العقب والتعقيب ، فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين ، فإنه من باب النظر في إعجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام في منازله اللائقة به .

النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره . {وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ} وعندكم من العلم فيه ما ليس عند غيركم {وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ* وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:41،42]

أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى ومما جاء به ،وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:44]، أي أتنْهوْن الناسَ عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أي وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي ، وتنقضون ميثاقي ، وتجحدون ما تعلمون من كتابي .
ثم عدَّد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجل وما صنعوا فيه ، وتوبته عليهم ، وإقالته إياهم ، ثم قولهم : ﴿أَرِنَا الله جَهْرَةً ﴾ [النساء: 153] قال ابن هشام : جهرة، أى ظاهراً لنا لا شىء يستره عنا. قال أبو الأخْزَر الحَمانىُّ واسمه قتيبة :

يجهر أجوافَ المياه السَّدُم[98]

وهذا البيت في أرجوزة له .
يجهر : يقول : يظهر الماء، ويكشف عنه ما يستره من الرمل وغيره . قال ابن إسحاق : وأخْذَ الصاعقة إياهم عند ذلك لغرّتهم ، ثم إحياءَه إياهم بعد موتهم وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المن والسلوى، وقوله لهم : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ [البقرة:58]أي قولوا ما أمركم به أحطّ به ذنوبَكم عنكم ، وتبديلهم ذلك من قوله استهزاءً بأمره ، وإقالته إياهم ذلك بعد هُزْئهم .

---

[98] السدم : هى المياه القديمة .

قال ابن هشام : المنُّ شيء كان يسقط في السَّحَر على شجرهم ، فَيَجْتَنونه حُلواً مثل العسل فيشربونه ويأكلونه . قال أعشَى بني قَيْس ابن ثَعْلبة :

لو أطعِموا المنَّ والسلْوَى مكانَهُمُ ما أبصر الناسُ طُعْماً فيهمُ نَجَعَا[99]

وهذا البيت في قصيدة له ، والسّلْوى : طير واحدتها : سَلْواة ويقال : إنها السُّمَانى ، ويقال للعسل أيضاً : السَّلْوى. وقال خالد بن زُهير الهُذَلي :

وقاسَمَها بالله حقّا لأنتم ألذ من السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها

وهذا البيت في قَصيدة له وحِطَّة : أي حُطَّ عنا ذنوبَنا.

قال ابن إسحاق : وكان من تبديلهم ذلك كما حدثني صالح بن كَيْسان عن صالح مولى التَّوْءَمة بنت أمية بن خلف ، عن أبي هريرة ومن لا أتهم ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : دخلوا الباب الذي أمروا أن يدخلوا منه سُجَّداً يزحفون ، وهم يقولون حِنْط في شعير. قال ابن هشام : ويروى : حنطة في شعيرة .

قال ابن إسحاق : واستسقاءَ موسى لقومهِ ، وأمرَه إياه أن يضربَ بعصاه الحجرَ، فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا، لكل سِبْط[100] عين يشربون منها، قد عَلم كُلُّ سِبْط عينَه التي منها يشرب ، وقولهم لموسى عليه السلام : ﴿ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا ﴾ [البقرة:60]

---

[99] نجع : نفع .

[100] السبط : الجماعة، وهي كالقبيلة في أولاد إسماعيل .

قال ابن هشام : الفوم : الحنطة . قال أمية بن أبي الصَّلت الثقفى :

فوقَ شِيزَى مثل الجوابي عليها قِطَعٌ كالوَذِيلِ في نِقْيِ فُومِ [101]

قال ابن هشام : الوذيل : قطع الفضة، والفوم : القمح ، واحدته : فومة . وهذا البيت في قصيدة له .

{وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ}.

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا، ورفْعه الطور فوقَهم ليأخذوا م ا أوتوا، والمسخ الذي كان فيهم ، إذ جعلهم قردةً بإحْداثهم ، والبقرة التي أراهم الله عز وجل بها العبرة في القتيل الذي اختلفوا فيه ، حتى بيَّن الله لهم أمره ، بعد التردد على موسى عليه السلام في صفة البقرة، وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشد قسوة، ثم قال تعالى : {وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله{أي وإن من الحجارة لألين من قلوبكم عما تدعون إليه من الحق {وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

ثم قال لمحمد عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين يؤْيسهم منهم {أَفَتَطْمَعونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ الله ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: 75]. وليس قوله " يسمعون التوراةَ " أنّ كلهم قد سمعها، ولكنه فريق منهم ، أي خاصة . قال ابن إسحاق : فيما بلغنى عن بعض أهل العلم : قالوا لموسى :

---

[101] الشيزى : خشب أسود صلب تصنع منه الأمشاط والقصاع وغيرها وهو الأبنوس . والجوابي : الحياض يجبى إليها الماء، أي يجمع .

يا موسى، قد حيل بيننا وبين رؤية الله ، فأسمعنا كلامَه حيـن يكلمـك ، فطلـب ذلك موسى عليه السلام من ربه ، فقال له : نعم مرهم فليطَّهروا، أو ليطهروا ثيابَهم ، وليصوموا، ففعلوا، ثم خرج بهـم حـتى أتـى بهـم الطـورَ فلمـا غشـيهم الغمامُ أمرهم موسى فوقعوا سُجّداً وكلمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك وتعالى، يأمرهم وينهاهم ، حتى عقلوا عنه ما سمعوا، ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل ، فلما جاءهم حرَّف فريق منهم ما أمرهم به ، وقالوا، حين قـال موسـى لبنـى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا، قال ذلك الفريـق الـذي ذكـر اللـه عـز وجل : إنما قال كذا وكذا، خلافاً لما قال الله لهم ، فهـم الـذين عنـى اللـه عـز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال تعالى : }وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا{، أي بصاحبكم رسول اللـه ، ولكنه إليكم خاصة، }وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا{: لا تحدثوا العرب بهذا، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم ، فكان فيهم فأنزل الله عز وجل فيهـم : }وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَـدِّثُونَهُمْ بِمَـا فَتَحَ الله عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ{ [البقرة: 76] أي تقرون بأنه نبى، وقد عرفتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكـم باتبـاعه ، وهـو يخـبركم أنـه النبي الذي كنا ننتظر ونجد في كتابنا، اجحدوه ولا تقروا لهم به ، يقول الله عـز وجل : }أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الله يَعْلَـمُ مَـا يُسِـرُّونَ وَمَـا يُعْلِنُـونَ* وَمِنْهُـمْ أُمِّيُّـونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ{.[البقرة:77،78]

قال ابن هشام ، عن أبي عُبَيْـدة : إلا أمـانيّ ، إلا قـراءة، لأن الأمـى : الـذي يقرأ ولا يكتب . يقول : لا يعلمون الكتاب ، إلا أنهم يقرءونه . قال ابن هشـام : عن أبي عُبيدة ويونس ، أنهما تأولا ذلك عن العرب فـي قـول اللـه عـز وجـل ، حدثني أبو عُبَيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثني يونس بن حبيب النحويُّ وأبو عُبَيدة :
أن العرب تقول : تمنَّى، في معنى قرأ. وفى كتاب الله تبارك وتعالى:
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج: 82] قال : وأنشدنى أبو عُبَيْدة النحوي :
تمنَّى كتابَ الله أولَ ليلـــهِ وآخرَهُ وافى حِمامُ المقادِرِ
وأنشدنى أيضاً :
تمنَّى كتابَ الله في الليلِ خالياً تَمنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ
وواحدة الأماني : أمنيَّة . والأمانى أيضاً : أن يتمنى الرجلُ المالَ أو غيرَه .
قال ابن إسحاق : {وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}: أي لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه ، وهم يجحدون نبوتك بالظن . {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ الله عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ الله عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ}.[البقرة: 80]
ما ادعاه يهود في عذاب الآخرة : قال ابن إسحاق : وحدثني مولى لزيد بن ثابت عن عِكْرمة، أو عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس ، قال : قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة، واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعةُ الاف سنة، وإنما يُعذب الله الناسَ في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيامِ الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله في ذلك من قولهم : {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِنْدَ الله عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ الله عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى الله مَا لَا تَعْلَمُونَ* بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ}[البقرة: 80،81]. أي من عمل بمثل أعمالكم ، وكفر بمثل

ما كفرتم به ، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة {فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{أي خُلْد أبداً } وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 82] أي من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، لا انقطاع له . قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل يؤنبهم : وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ{ ، أي ميثاقكم } لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ{، أي تركتم ذلك كله ليس بالتنقص }وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ{ [البقرة: 84] قال ابن هشام : تسفكون : تصبُّون . تقول العرب : سَفك دمَه ، أي صبَّه وسفك الزق أي هراقه . قال الشاعر :

وكنا إذا ما الضيفُ حَلَّ بأرضِنا سفكنا دماءَ البُدْنِ في تُرْبةِ الحالِ

قال ابن هشام : يعنى " بالحال " : الطين الذي يخالطه الرمل ، وهو الذي تقول له العرب : السَّهلة. وقد جاء في الحديث : أن جبريل لما قال فرعونُ : { آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ} [يونس: 90] أخذ من حال البحر وحَمْأته ، فضرب به وجه فرعون . والحال : مثل الحمأ".

قال ابن إسحاق : }وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ{. على أن هذا حق من ميثاقى عليكم : }ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ{ [البقرة:85] : أي أهل الشرك : حتى يُسفكوا دماءَهم معهم ،

ويخرجوهم من ديارهم معهم . {وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ} وقد عرفتم أن ذلك عليكم في دينكم {وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ}: في كتابكم {إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}، أي أتفادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفاراً بذلك {فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ}.[البقرة:85،86] فأنبهم الله عز وجل بذلك من فعلهم ، وقد حرَّم عليهم في التوراة سفكَ دمائِهم . وافترض عليهم فيها فداء أسراهم .

فكانوا فريقين ، منهم بنو قَيْنقاع ولَفُّهم[102] ، حلفاء الخزرج والنضير وقريظة ولَفُّهم ، حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب ، خرجت بنو قَيْنقاع مع الخزرج وخرجت النضير وقريظة مع الأوس يظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا . دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم ، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان . لا يعرفون جنةً ولا ناراً ، ولا بَعْثاً ولا قيامة ، ولا كتاباً ، ولا حلالاً ولا حراماً ، فإذا وَضعت الحرب أوزارَها افتدوا أسراهم تصديقاً لما في التوراة ، وأخذَ به بعضُهم من بعضٍ ، يفتدي بنو قينقاع من كان من أسراهم في أيدي الأوس وتفتدي النضير وقريْظة ما في أيدي الخزرج منهم . ويُطلُّون[103] ما أصابوا من الدماء ، وقَتْلى من قُتلوا منهم فيما بينهم ، مظاهرة لأهل الشرك عليهم . يقول الله تعالى لهم حين أنبهم بذلك : {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}، أي تفاديه بحكم التوراة وتقتله ، وفى حكم التوراة

---

[102] لفهم : من عُد فيهم .

[103] يطلون : يبطلون

أن لا تفعل ، تقتله وتُخرجه من داره وتُظاهر عليه من يُشركُ بالله ، ويعبد الأوثان من دونه ، ابتغاء عَرَض الدنيا. ففى ذلك من فعلِهم مع الأوْس والخزرج - فيما بلغنى - نزلت هذه القصة .

ثم قال تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ}أي الآيات التي وُضعت على يديه ، من إحياء الموتى، وخلقهِ من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من الغيوب : مما يدخرون في بيوتهم ، وما رد عليهم من التوراة مع الإنجيل ، الذي أحدث الله إليه . ثم ذكر كفرَهم بذلك كله ، فقال : {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}، ثم قال تعالى : {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} : في أكِنَّة . يقول عز وجل : {بَلْ لَعَنَهُمْ الله بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ* وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الْكَافِرِينَ}.[البقرة: 89] قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عُمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قال : قالوا : فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة، كنا قد عَلَوْناهم ظَهْراً في الجاهلية ونحن أهل الشرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا : إن نبيًّا يُبعث الآن نتبعه قد أظَلَّ زمانهُ ، نقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرَم . فلما بعث الله رسولَه صلى الله عليه وسلم من قريش فاتبعناه كفروا به يقول الله : {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الْكَافِرِينَ(89)بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ الله بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ الله مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ{أي أن جعله في غيرهم }فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}.[البقرة: 89،90]

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أي اعترفوا به واحتملوه . قال أعْشَى بنى قَيْس بن ثَعْلبة :

أصالحُكم حتى تبوءوا بمِثلها كصرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْها قبيلُها[104]

قال ابن هشام : يسرتها. أجلستها للولادة . وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فالغضب على الغضب ، لغضبه عليهم فيما كانوا ضيَّعوا من التوراة، وهى معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم الذي أحدث الله إليهم .

ثم أنَّبهم برفع الطور عليهم ، واتخاذهم العجلَ إلهاً دون ربِّهم ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ} ،[البقرة: 94] أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب عند الله ، فأبَوْا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول الله جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام : {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} ، أي بعلمهم بما عندهم من العلم بك ، والكفر بذلك فيقال لو تمنوه يوم قال ذلك لهم ما بقي على وجه الأرض يهودي إلا مات . ثم ذكر رغبتهم في الحياة الدنيا وطول العمر، فقال تعالى {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} اليهود {وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ}[البقرة: 96]، أي ما هو بمنجيه من العذاب ، وذلك أن المشركَ لا يرجو بعثاً بعدَ الموت ، فهو يحب طولَ الحياة، وأن اليهوديَّ قد عرف ما له في الآخرة من الخِزْي بما ضَيَّع مما عنده من العلم . ثم قال تعالى : {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ}[البقرة:97].

---

[104] القبيلة : القابلة وهي من تستقبل الولد حين ولادته .

سؤال اليهود الرسول ، وإجابته : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بنُ عبد الرحمن بن أبي حُسَيْنٍ المَكِّى، عن شَهْر بن حَوْشَب الأشْعَري ، أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمدُ، أخبرنا عن أربعٍ نسألك عنهنَّ ، فإن فعلتَ ذلك اتبعناك وصدقناك ، وآمنا بك . قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أخبرتُكم بذلك لتصدِّقُنَّنِي، قالوا : نعم ، قال : فاسئلوا عما بَدَا لكم . قالوا : فأخبرنا كيف يشبه الولدُ أمَّه ، وإنما النطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه ! قالوا : اللهم نعم .
قالوا: فأخْبرنا كيف نومُك ؟ فقال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أن نومَ الذي تزعمون أنى لستُ به تنام عينه وقلبه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم قال : فكذلك نومى؟ تنام عيني وقلبي يقظان .
قالوا : فأخبرنا عما حرَّم إسرائيلُ على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أنه كان أحَبَّ الطعام والشراب إليه ألبانُ الإبل ولحوما وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرَّم على نفسه أحبّ الطعام والشراب إليه شكراً لله فحرم على نفسه لحومَ الإبل وألبانها؟ قالوا : اللهم نعم .
قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامِهِ عند بني إسرائيل ، هل تعلمونه جبريلَ ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا : اللهم نعم ، ولكنه يا محمد لنا عدو، وهو ملك ، إنما يأتى بالشدة وبسفك الدماء،

ولولا ذلك لاتبعناك ، قال : فأنزل الله عـز وجـل فيهـم : {قُـلْ مَـنْ كَـانَ عَـدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللـه مُصَـدِّقًا لِمَـا بَيْـنَ يَـدَيْهِ وَهُـدًى وَبُشْـرَى لِلْمُؤْمِنِينَ{. . . إلى قوله تعالى : } أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَـذَهُ فَرِيـقٌ مِنْهُـمْ بَـلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِـنْ عِنْـدِ اللـه مُصَـدِّقٌ لِمَـا مَعَهُـمْ نَبَـذَ فَرِيقٌ مِـنْ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ كِتَـابَ اللـه وَرَاءَ ظُهُـورِهِمْ كَـأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُـونَ* وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُـلَيْمَانَ{ أي السـحر }وَمَـا كَفَـرَ سُـلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ{.[البقرة: 100ـ103]

اليهود يُنكرون نبوة سليمان عليه السلام ورد الله عليهم :

قال ابن إسحاق : وذلك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم - فيمـا بلغنـي - لما في ذكـر سـليمان بـن داود في المرْسَـلين ، قال بعضُ أحـبارهـم : ألا تعجبونمن محمد، يزعم أن سليمان بن داود كان نبيًّا، والله ما كـان إلا سـاحراً. فأنزل الله تعالى في ذلـك مـن قـولهم }وَمَـا كَفَـرَ سُـلَيْمَانُ وَلَكِـنَّ الشَّـيَاطِينَ كَفَرُوا{ أي باتباعهم السحر وعملهم به }وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِـلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ{. قال ابن إسحاق : وحـدثني بعـض مـن لا أتهـم عن عِكْرِمة، عن ابن عباس ، أنه كان لِقول : الذي حرم إسرائيلُ علـى نفسـه زائدتا الكَبْد ، والكُلْيتان والشحْم ، إلا ما كان على الظَّهْر، فإن ذلك كـان يُقَـرَّب للقربان ، فتأكله النار.

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر، فيمـا حـدثني مـولَى زيـد بـن ثابت ، عن عِكْرمة أو عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس : بسم الله الرحمـن الرحيم : من مُحمدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم، صاحبِ

موسى وأخيه ، والمصدِّق لما جاء به موسى :ألا إن الله قد قال لكم يـا معشـرَ أهل التوراة، وإنكم لَتَجِدُون ذلك في كتابكم : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّـذِينَ مَعَـهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّـارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُـمْ تَرَاهُـمْ رُكَّعًـا سُـجَّدًا يَبْتَغُـونَ فَضْـلًا مِـنْ اللـه وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُـمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْـتَوَى عَلَـى سُـوقِهِ يُعْجِـبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِـرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: 29].

وإني أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطْعم مـن كان قبلكم من أسباطكم المن والسلْوَى، وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبـائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله ، إلاَّ أخبرتمونى : هل تجدون فيمـا أنـزل اللـه عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ إن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كُرْه عليكـم . ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ﴾ [البقرة: 256] فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه .

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه وواحدته : شطأة . تقول العرب قد أشطأ الزرع ، إذا أخرج فراخَه . وآزَره : عاونه ، فصـار الـذي قبلـه مثـلَ الأمهات . قال امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْديُّ :

بِمَحْنيةٍ قد آزر الضَّالَ نَبتُها مَجَرَّ جيوش غانمين وخُيَّب[105]

وهذا البيت في قصيدة له . وقال حُمَيد بن مالك الأرْقَط ، أحـد بنـى ربيعـة بـن مالك بن زَيْد مَناة:

زَرْعاً وقَضباً مُؤْزَرَ النباتِ[106]

---

[105] المحنية والمحناة ما انعطف من الوادي والجمع محان ، والضال : شجر تعمل منه القسي .

[106] القضبة : الشجرة التي امتدت أغصانها.

وهذا البيت في أرجوزة له ، وسوقه : جمع ساق ، لساق الشجرة .
ما نزل في أبي ياسر وأخيه : قال ابن إسحاق : وكان ممن نـزل فيـه القـرآن، بخاصة من الأحبار وكفار يهود، الـذي كـانوا يسـألونه ويتعنتـونه ليُلبسـوا الحـقَّ بالباطل - فيما ذُكر لي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بنِ رئاب - أن أبا ياسر بن أَخْطَبَ مرَّ برسول الله صلى الله عليـه وسـلم ، وهـو يتلـو فاتحـة البقرة : { الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة: 1،2] فـأتى أخـاه حُيَـى بـن أخطب في رجال من يهود، فقال : تَعَلَّموا والله ، لقد سمعتُ محمداً يتلو فيما أنزل عليه ، { الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ}:
فقالوا : أنت سمعتَه ؟ فقال : نعم ، فمشى حُيى بن أخطب فـي أولئـك النفـر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم . فقـالوا لـه : يـا محمـد، ألـم يُذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك : { الـم* ذَلِـكَ الْكِتَـابُ}؟ فقـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم : بَلَى قالوا : أجاءك به جبريل مـن عنـد اللـه ؟ فقـال : نعم ، قالوا: لقد بعث الله قبلكَ أنبياءَ، ما نعلمه بيَّن لنبى منهم ما مـدة مُلكِـهِ ، وما أكْل[107] أمته غيرك ، فقال حُيِى بن أخطب ، وأقبل علـى مـن معـه ، فقـال لهم : الألف واحدة، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة، أفتدخلون في دين إنما مدة ملكه وأكْل أمته إحدى وسبعون سنة؟
ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا مُحمدُ، هـل مـع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال : ماذا؟ قال : {المص}.[الأعراف: 1] قال : هـذه والله أثقـل وأطـول ، الألـف واحـدة واللام ثلاثـون ، والميـم أربعـون ، والصـاد تسعون ،فهذه إحدى وستون ومئة سنة . بخ هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قـال : نعم {الَر}قال : هذه والله

---

[107] الأكل : الرزق .

أثقل وأطـول ، الألـف واحـدة، واللام ثلاثـون ، والـراء مئتـان ، فهـذه إحـدى وثلاثون ومئتان .

هل مع هذا غيره يا محمد؟ قال : نعم {المر}. قال : هذه والله أثقلُ وأطول ، الألف واحدة، واللام ثلاثـون ، والميـم أربعـون ، والـراء مئتـان ، فهـذه إحـدى وسبعون ومئتا سنة .

ثم قال : لقد لُبِّس علينا أمرُك يـا محمـد، حـتى مـا نـدري أقليلاً أعطيـت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حيى بـن أخطـب ولمـن معـه مـن الأحبار : ما يدريكم لعله قد جُمع هـذا كلّـه لمحمـد، إحـدى وسـبعون ، وإحـدى وستون ومئة، وإحدى وثلاثون ومئتان ، وإحدى وسبعون ومئتـان ، فـذلك سـبع مئة وأربع وثلاثون سنة، فقالوا : لقد تشابه علينـا أمـره . فيزعمـون أن هـؤلاء الايات نزلت فيه : {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَـرُ مُتَشَـابِهَاتٌ} [آل عمران: 7]

قال ابن إسحاق : وقد سمعتُ من لا أتهم من أهل العلم يذكر :

إن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في أهل نجران ، حيـن قَـدِموا علـى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى ابن مريم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمدُ بن أبي أمامة بن سَهْل بن حُنَيْـف ، أنـه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في نفر من يهود، ولـم يفسـر ذلـك لـى . فالله أعلم أي ذلك كان .

كفر اليهود بالإسلام وما نزل في ذلك : قـال ابـن إسـحاق : وكـان فيما بلغني عن عِكْرِمة مولى ابـن عبـاس ، أو عـن سـعيد بـن جُبَيْـر، عـن ابـن عباس : أن يهودَ كانوا يستفتحون على الأوْس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العربِ كفروا به ، وجحدوا ما كـانوا يقولون فيه . فقال لهم مُعاذ بن جبل ، وبِشر بن البراء بن

معـرور، أخـو بنـى سَـلمة : يـا معشـر يهـود، اتقـوا اللـه وأسْـلِموا، فقـد كنتـم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال سَلاَّم بن مِشْكَم ، أحد بنى النَّضِير: ما جاءنا بشىء نعرفـه ، ومـا هو بالذي كنا نذكره لكم ؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَـابٌ مِنْ عِنْدِ الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْـلُ يَسْـتَفْتِحُونَ عَلَـى الَّـذِينَ كَفَـرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ الله عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة: 89].

وقال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصَّيْف ، حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، - وذَكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عَهِـد الله إليهم فيه : والله ما عُهِد إلينا في محمد عهدٌ وما أخذ له علينا مـن ميثـاق ، فـأنزل اللـه فيـه : {أَوَكُلَّمَـا عَاهَـدُوا عَهْـدًا نَبَـذَهُ فَرِيـقٌ مِنْهُـمْ بَـلْ أَكْثَرُهُـمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.[البقرة: 100]

وقال أبو صَلُوبا الفَطْيُونى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمدُ مـا جئتنا بشىءٍ نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فنتبعك لها. فأنزل اللـه تعـالى فـي ذلـك مـن قـوله : {وَلَقَـدْ أَنزَلْنَـا إِلَيْـكَ آيَـاتٍ بَيِّنَـاتٍ وَمَـا يَكْفُـرُ بِهَـا إِلَّا الْفَاسِقُونَ}[البقرة: 99].

وقال رافع بن حُرَيْمِلة، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يـا محمد،

ائتنا بكتاب تُنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفَجِّر لنا أنهاراً نتبعْك ونصـدقْك ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : {أَمْ تُرِيـدُونَ أَنْ تَسْـأَلُوا رَسُـولَكُمْ كَمَـا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَـدَّلْ الْكُفْـرَ بِالْإِيمَـانِ فَقَـدْ ضَـلَّ سَـوَاءَ السَّـبِيلِ}. [البقرة: 108]

قال ابن هشام : سواء : وسط السبيل . قال حسان بن ثابت:

يا وَيْحَ أنصارِ النبي ورهطـهِ بعد المُغَيَّب في سَواءِ المُلْحَدِ[108]

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى قال ابن إسحاق : وكان حُيى بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً، إذ خَصَّهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم، وكانا جاهدَيْن في رَدِّ الناس بما استطاعا. فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[البقرة: 109]

تنازع اليهود والنصارى عندَ الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : ولما قَدِم أهلُ نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحبارُ يهود، فتنازعوا عندَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رافع بن حُرَيْملة : ما أنتم على شىء وكفر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شىء، وجحد نبوةَ موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَالله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: 113]أي كل يتلو في كتابه تصديقَ ما كفر به ، أي يكفر اليهودُ بعيسى، وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكل يكْفُر بما في يد صاحبه .

---

[108] الملحد : القبر.

قال ابن إسحاق : وقال رافع بن حُرَيْمِلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمدُ، إن كنت رسولاً من الله كما تقول ، فقل للّه فليكلمنا حتى نسمعَ كلامَه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.[البقرة: 118] وقال عبد الله بن صُوريا الأعور الفِطْيُوني لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الهُدَى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تَهْتَدِ، وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن صُوريا وما قالت النصارى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135] ثم القصة إلى قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[البقرة: 141]

ما قالته اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة : قال ابن إسحاق : ولما صُرِفت القبلة عن الشام إلى الكعبة، وصُرفت في رجب على رأس سبعةَ عشرَ شهراً من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رفاعةُ بن قَيْس ، وقَرْدَم بن عَمرو، وكعب بن الأشْرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق[109] ، فقالوا : يا محمد، ما ولاّك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم

---

[109] وهم السفهاء من الناس ، وفيهم نزلت هذه الآية .
وقال : (سيقول) بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم
سيقولون ذلك أي : لم آمركم بتحويلها إلا وقد علمت
أنهم سيقولون ما قالوه ، وقد ذكر في حديث الهجرة،
قصة البراء بن معرور فوائد
معنى تحويل القبلة، فلننظر هنالك .

أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعْك ونصـدقْك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه . فأنزل الله تعالى فيهم :
{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَـنْ قِبْلَتِهِـمْ الَّتِـي كَـانُوا عَلَيْهَـا قُـلْ لِلَّـهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّـةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُـونَ الرَّسُـولُ عَلَيْكُـمْ شَـهِيدًا وَمَـا جَعَلْنَـا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّـنْ يَنقَلِـبُ عَلَـى عَقِبَيْـهِ} .
{ أي ابتلاء واختبار} وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى الله{ أي مـن الفتـن : أي الذين ثبَّت الله} وَمَا كَانَ الله لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ{، أي إيم انكم بالقبلـة الأولى، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة، وطاعتكم نـبيكم فيهـا : أي ليعطينكم أجرهما جميعاً} إِنَّ الله بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ{[البقرة: 143].
ثم قال تعالى :} قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَـاهَا فَـوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ{.[البقرة: 144]
قال ابن هشام : شطره : نحوَه وقصده . قال عُمر بن أحمـر البـاهلي -وباهلـة بن يَعْصر بن سعد بن قَيْس بن عيلان -يصف ناقة له :
تعدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وهى عاقدةٌ قد كارَبَ العَقْدُ من إيفادها الحَقَبـا[110]
وهذا البيت في قصيدة له .

---

[110] وألفيت في حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه : قال من إيفادها من إشرافها،
كذا قال محمد بن عبد الله البرقي وقال كارب موضع قارب ، ووقع في
شعر ابن أحمر :
تعدو بنا عرض جمع وهى موقدة قد قارب الغرض من إيفادها الحقبا
تعدو : من العدو بنا وبرحلي : يعنى غلامه . عرض جمع : يعني مكة، وعرض :
كثرة الناس ، عن الأصمعي ، وموقدة . أي : مشرفة - أوقد : إذا أشرف ، وروى
غيره : وهي عاقدة، من إيفادها، أي إشرافها، وقد اقتادت : نصبت عنقها وعصرت بذنبها وتخامصت ببطنها فقرب كل واحد من الغرض والحقت من صاحبه بذلك هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت
أنشأت أسأله عن حال رفقته فقال : حي فإن الركب قد نصبا
ويقال : ناقة عاقدة : إذا جعلت ذنبها بين فخذيها في أول حملها، ويقال في
الحقب . هو حبل يشد به الرحل إلى بطن الناقة. (عن الروض الأنف).

وقال قَيْس بن خُوَيْلد الهُذَلي يصف ناقته :

إن النَّعوسَ بها داءٌ مُخامِرها فَشَطْرَها نظرُ العَيْنين مَحْسور

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : والنعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظـر حسـير، مـن قوله : {وَهُوَ حَسِيرٌ}[الملك: 4].

{وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّـهُ الْحَـقُّ مِـنْ رَبِّهِـمْ وَمَـا اللـه بِغَافِـلٍ عَمَّـا يَعْمَلُونَ* وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَـا أَنْـتَ بِتَـابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَـاءَكَ مِـنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ}[البقرة: 144،145].

قـال ابـن إسـحاق : إلـى قـوله تعـالى : { الْحَـقُّ مِـنْ رَبِّـكَ فَلَا تَكُـونَنَّ مِـنْ الْمُمْتَرِينَ}[البقرة: 147]

كتمانهم ما في التوراة : وسأل معاذ بن جبل ، أخو بني سَلَمة، ثم وسعد بن معاذ، أخو بنى عبد الأشْهل وخارجة بن زَيْد، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، نفـراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم في إياه ، وأبوا أن يخـبروهم عنه . فأنزل الله تعالى فيهم : إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِـنْ الْبَيِّنَـاتِ وَالْهُـدَى مِـنْ بَعْـدِ مَـا بَيَّنَّـاهُ لِلنَّـاسِ فِـي الْكِتَـابِ أُوْلَئِـكَ يَلْعَنُهُـمْ اللـه وَيَلْعَنُهُـمْ اللَّاعِنُونَ}[البقرة: 159]

جوابهم النبي عليه السلام حين دعاهم إلى الإسلام : قـال : ودعـا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اليهودَ من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهـم فيه ، وحذَّرهم عذاب الله ونقمته . فقال له رافع بن خَارجة، ومالك ابن عَوْف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه اباءَنا، فهم كـانوا أعلـم وخيـراً منـا. فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُـوا مَـا أَنـزَلَ اللـه قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَـدُونَ }. [البقرة: 170].

جمعهم في سوق بني قينقاع : ولما أصاب الله عز وجـل قريشـاً يَـوْمَ بدر جمع رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ في سوق بنى قَيْنقـاع ، حيـن قدم المدينة، فقال : يا معشـر يهـود، أسْـلِمُوا قبـل أن يُصـيبكم اللـه بمثـل مـا أصاب به قريشاً، فقالوا له : يا محمد، لايغرَّنَّك من نفسِك أنك قتلتَ نفـراً مـن قريش، كانوا أغْماراً[111] لا يعرفون القتال ،إنك والله لو قاتلتنا لعرفـت أنـا نحـنُ الناسُ ، وأنك لم تَلْقَ مثلَنا، فأنزل الله تعالى في ذلك مـن قـولهم {قُـلْ لِلَّـذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ* قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَه وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ[112] وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُوْلِي الْأَبْصَارِ}.[آل عمران: 12،13].

---

[111] الأغمار : السذج الذين لم يجربوا الأمور.

[112] فمن قرأه : يرونهم بالياء، فمعناه أن الكفار يرون المؤمنين مثليهم ، وإن كانوا أقل
منهم لما كثَّرهم بالملائكة. فإن قيل : وكيف وهو يقول في آية أخرى { وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ}.[الأنفال: 44].
قيل :وكان هذا قبل القتال عندما حزر الكفار المؤمنين ، فرأوهم قليلاً، فتجاسروا عليهم ، ثم أمدهم الله بالملائكة فرأوهم كثيراً فانهزموا، وقيل : إن الهاء في يرونهم عائدة على الكفار، وإن المؤمنين رأوهم مثليهم ، وكانوا ثلاثة أمثالهم ، فقللهم في عيون المؤمنين ، وأما من قرأها بالتاء، فيجوز أن يكون الخطاب لليهود، أي ترون المشركين يوم بدر مثلين ، وذلك أنهم كانوا ألفاً، فانخذل عنهم الأخنس بن شريق ببني زهرة، فصاروا سبعمائة أو نحوها ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين ، أي :
ترون أيها المشركون المؤمنين مثليهم ، حين أمدهم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى
المعنى الأول الذي قدمناه في قراءة من قرأ بالياء. وفي الآية تخليط عن القراء أضربنا
عن ذكره وجل ما ذكرناه آنفا مذكور في التفاسير بألفاظ مختلفة. (عن الروض الأنف).

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المِدْرَاس : قال : ودخل رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم بَيْتَ المِدْرَاس[113] على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد : على أيّ دين أنت يا محمد؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه ، قالا : فإن إبراهيم كان يهوديًّا، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلُمَّ إلى التوراة، فهي بيننـا وبينَكـم ، فأبَيَـا عليـه . فأنزل الله تعالى فيهما : }أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِـنْ الْكِتَـابِ يُـدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ الله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُـمْ مُعْرِضُـونَ* ذَلِـكَ بِـأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ{.[آل عمران: 23،24].

تنازع اليهود والنصارى في إبراهيمَ عليه السلام : وقال أحبارُ يهـودَ ونصارى نجران حين اجتمعوا عندَ رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فتنـازعوا فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى من أهل في نجران : ما كان إبراهيم إلا نَصْرانيا. فأنزل الله عـز وجـل فيهـم : }يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لِـمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَـتْ التَّـوْرَاةُ وَالْإِنجِيـلُ إِلَّا مِـنْ بَعْـدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُـونَ* هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ،

---

[113] المدراس : البيت الذي يدرس فيه اليهود كتابهم والمدراس أيضا من يدرس لهم .

فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[آل عمران: 65ـ68].

ما نزل في إيمانهم غُدْوَة وكفرهم عَشِيًّا : وقال عبد الله ابن صَيْف ، وعَدِي بن زيد، والحارث بن عَوْف ، بعضُهم لبعض : تعالَوْا نؤمنُ بما أنزل على محمد وأصحابه غُدَوة، ونكفر به عشية، حتى نَلبس عليهم دينَهم لعلهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه . فأنزل اللهُ تعالى فيهم : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ* وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ* وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[آل عمران: 71ـ73].

ما نزل في قول أبي رافع أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى : وقال أبو رافع القُرظيُّ حين اجتمعت الأحبار من يهود، والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له : الرِّيس ، ويروى : الرُّبيِّس ، والرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ أو كما قال .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثنى الله ، ولا أمرنى أو كما قال .

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[آل عمران: 79ـ80].

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة؟ واحدهم : رَبَّانى .

قال الشاعر :

لو كنتُ مُرتهِناً في القَوْس أفْتَنني منها الكلامُ وربانىَّ أحبارِ

قال ابن هشام : القوس : صومعة الراهب . وأفتنني ، لغة تميم . وفتننى، ، لغة قيس .

قال جرير :

لا وَصْلَ إذ صَرمتْ هندٌ ولو وقفت لاستنزلتنى وذا المِسْحَيْن في القَوْسِ

أي صومعة الراهب . والرباني : مشتق من الرب ، وهو السيد. وفي كتاب الله : ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾[يوسف: 41] أي سيده . قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 80]

ما نزل في أخذ الميثاق عليهم : قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 80] إلى آخر القصة .

سعيهم في الوقيعة بين الأنصار : قال ابن إسحاق : ومر شَأس ابن قيْس ، وكان شيخاً قد عسا[114] ، عظيم الكفر شديد الضّغْن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوْس والخزرج ، في مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية. فقال : قد اجتمع ملأ بنى قَيْلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار.

فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم ، فقال : ، اعمدْ إليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يومَ بُعاث وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار

يوم بعاث : وكان يوم بعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حُضَيْر بن سِماك الأشهلي : أبو أسَيْد بن حُضيْر؟ وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضى ، فقُتلا جميعاً.

قال ابن هشام : قال أبو قَيْس بن الأسلت :

على أنْ قد فُجِعْتُ بذي حِفاظٍ فعاودنى له حزن رَصينُ[115]
فإما تقتلوه فإن عَمْـــراً أعَضَّ برأسِهِ عَضَبٌ سنين[116]

وهذان البيتان في قصيدة له . وحديث يوم بُعاث أطول مما ذكرت ، وإنما منعني من استقصائه ما ذكرت من القطع[117] .

---

[114] عسا الشيخ : كبر.

[115] الحفاظ : شدة الغضب . والرصين : ا لثابت .

[116] العضب : السيف القاطع .

[117] يقصد أنه لا يريد القطع لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : سنين ، مسنون ، من سَنَّه إذا شَحذَه .
قال ابن إسحاق : ففعل . فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكب ، أوْس بن قَيْظِى، أحد بني حارثة بن الحارث ، من الأوْس ، وجَبَّار بن صَخْر، أحد بني سَلمة من الخزرج ، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جَذَعة، فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا : قد فعلنا موعدكم الظاهرة - والظاهرة : الحرة - السلاحَ السلاحَ . فخرجوا إليها.
فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعْوى ، الجاهلية، وأنا بينَ أظهرِكم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألّف به
من قلوبكم ؟! فعرف القوم أنها نَزْغة[118] من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضُهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كَيْد عدو الله ،
شَأس بن قيس . فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس وما صنع : }قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَالله شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الله مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ{([آل عمران: 98،99]
وأنزل الله في أوْس بن قَيْظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا، عما أدخل عليهم شأس من أمر الجاهلية : }يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ* وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ الله وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِالله فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ*

---

[118] نزغ الشيطان بينهم : أفسد وأغرى.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللـه حَـقَّ تُقَـاتِهِ وَلَا تَمُـوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُـمْ مُسْـلِمُونَ{.[آل عمران: 100ـ102]

. . إلى قوله تعالى : {وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[آل عمران: 105].

ما نزل في قولهم : ما اتبع محمـداً إلا شـرارنا : قـال ابـن إسـحاق : ولما أسلم عبدُ الله بن سلام وثعلبةُ بـن سَـعْية، وأسـيد بـن سـعية، وأسـد بـن عُبَيـد، ومـن أسـلم مـن يهـود معهـم ، فـآمنوا وصـدَّقوا ورغبـوا فـي الإسـلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبار يهود، أهل الكفر منهم : ما آمن بمحمـد ولا اتبعـه إلا شرارنا، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين ابائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : {لَيْسُوا سَوَاءً مِـنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ أُمَّـةٌ قَائِمَـةٌ يَتْلُـونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}[آل عمران: 113].

قال ابن هشام : آناء الليل : سـاعات الليـل : وواحـدها : إنْـي . قـال المُتنَخِّـلُ الهُذَلي ، واسمه مالك بن عُوَيْمر، يرثي أثيْلة ابنه :

حُلْوٌ ومُر كعَطْفِ القِدْحِ شيمتهُ في كُلِّ إنْيٍ قضاه الليلُ يَنْتَعلُ

وهذا البيت في قصيدة له وقال لبيد بن ربيعة يصف حمارَ وَحْشٍ :

يُطَرِّب آناءَ النهار كأنــه غَوِي سقاه في النِّجارِ نديمُ[119]

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنى مقصور، فيما أخبرنى يونس.

{ يُؤْمِنُـونَ بِـالله وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ وَيَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَـنْ الْمُنْكَـرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ}.[آل عمران: 114].

ما نزل في نَهْي المسلمين عن مباطنة اليهود : قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لما

---

[119] الغوي : المفسد. والتجار : بائعو الخمر. والمفرد تاجر.

كان بينهم من الجوار والحِلف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ* هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ [آل عمران: 118،119]، أي تؤمنون بكتابكم ، وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنْ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: 119] إلى آخر القصة.

دخول أبي بكر بيت المدراس : ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود، فوجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فِنْحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه في حَبْر من أحبارهم ، يقال له : أَشْيع ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك ! يا فنحاص ! اتق الله وأسْلمْ ؟ فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل . فقال فنحاص لأبى بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر،وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني ، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالَنا، كما يزعم صاحبُكم ، ينهاكم عن الربا ويُعْطيناه ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا قال : فغضِب أبو بكر، فضرب وجْهَ فنحاص ضرباً شديداً، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك ، أيْ عدوَّ الله . قال : فذهب فِنْحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يا محمد، انظر ما صنع بى صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: ما حملك على ما صنعتَ ؟ فقال أبو بكر يا رسول الله ، إن عدو الله قال

قولاً عظيماً : إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبتُ للّه مما قال ، وضربت وجهه . فجحد ذلك فِنحاص ، وقال : ما قلت ذلك .
فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبى بكر :
{لَقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْـنُ أَغْنِيَـاءُ سَـنَكْتُبُ مَـا قَـالُوا وَقَتْلَهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}.[آل عمران: 181]
{ ونزل في أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وما بلغـه فـي ذلـك مـن الغضـب وَلَتَسْمَعُنَّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.[آل عمران: 186].
{ ثم قال فيما قال فنحاص والأحبار معه .من يهود وَإِذْ أَخَذَ اللـه مِيثَـاقَ الَّـذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْـتَرَوْا بِـهِ ثَمَنًـا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ* لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّـونَ أَنْ يُحْمَـدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيـمٌ} [آل عمـران: 187،188]يعنى فنحاص ، وأشْيَع وأشباههما من الأحبار، الـذين يفرحـون بمـا يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة، ويحبونه أن يُحمدوا بما لم يفعلوا أن يقول الناس : علماء، وليسوا بأهل علم ، لم يحملـوهم علـى هُـدى ولا حَق ، ويحبون أن يقول الناس : قد فعلوا.
أمر اليهود المؤمنين بالبخل : قال ابن إسحاق : وكان كَرْدَمُ ابن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ، وأسامة بن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبَحْـري بـن عَمرو، وحُيى بـن أخْطَـب ، ورفاعـة بـن زَيْـد بـن التـابوت ، يـأتون رجـالاً مـن الأنصار كانوا يخالطونهم ، ينتصحون لهم ،

من أصحابِ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، فيقولـون لهـم : لا تنفقـوا أموالَكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تُسارعوا في النفقـة فـإنكم لا تدرون علامَ يكون ؟
فأنزل الله فيهم : {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْـلِ وَيَكْتُمُـونَ مَـا آتَـاهُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ}، أي من التوراة، التي فيها تصديق ما جاء به محمد صـلى اللـه عليه وسلم {وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّـاسِ وَلَا يُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَلَا بِـالْيَوْمِ الْآخِـرِ} ...إلـى قـوله تعـالى{وَكَـانَ اللـه بِهِـمْ عَلِيمًا} [النساء: 37ـ39]..

اليهود – لعنهم الله – يجحـدون الحـقَّ : قـال ابـن إسـحاق : وكـان رفاعة بن زيْد بن التابوت من عظماء يهود، إذا كلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانَه ، وقال : أرْعنا سمعَك يا محمـد، حـتى نفهمـك ، ، ثـم طعـن في الإسلام وعابه . فأنزل الله فيه : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَـابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ* وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِـاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا* مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِـعِهِ وَيَقُولُـونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْـمَعٍ وَرَاعِنَـا{، أي راعنـا سـمعك }لَيًّـا بِأَلْسِـنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْـرًا لَهُـمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمْ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا}.[النساء: 44ــ46] وكَلـم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رؤساءَ من أحبارِ يهود، منهم : عبـد اللـه بـن صُوريا الأعور، وكعب بن أسد، فقال لهم : يا معشر يهود، اتقوا اللـه وأسـلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق ، قالوا : ما نعرف ذلك يا محمد : فجحدوا ما عرفوا، وأصروا على الكفر

، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولًا﴾.[النساء: 47].

قال ابن هشام : نطمس : نمسحها فنسويها،فلا يُرى فيها عينٌ ولا أنف ولا فم ، ولا شيء بما يُرَى في الوجه ، وكذلك ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ [القمر: 37] المطموس العين : الذي ليس بين جفنيه شق . ويقال : طمست الكتابَ والأثر، فلا يرى منه شيء . قال الأخطل ، واسمه الغَوْث[120] ابن هُبَيْرة بن الصَّلْت التَّغْلبى، يصف إبلاً كَلَّفها ما ذكر:

وتُكْلِيفُناهَا كلَّ طامسةِ الصُّوَى شطونٍ ترى حِرْباءَها يتململُ[121]

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن هشام : واحدة الصُّوَى : صُوَّة . والصُّوَى : الأعلام التي يُستدل بها على الطرق والماء.

قال ابن هشام : يقول : مُسِحت فاستوت بالأرض ، فليس فيها شيء ناتيء .

مَنْ حَزَّب الأحزاب : قال ابن إسحاق : وكان الذين حَزَّبوا الأحزابَ من قريش وغطفان وبني قريظة : حُيى بن أخْطَب ، وسلام ، ابن أبي الحُقَيق ، أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيق وأبو عَمَّار، ووَحْوَح بن عامر، وهَوْذة بن قيس . فأما وَحْوَح ، وأبو عَمَّار، وهَوْذة فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النضير. فلما قدموا

---

[120] المشهور أن اسمه غياث بن غوث بن الصلت ويكنى أبا مالك .

[121] الشطون : البعير، والحرباء دويبة صغيرة تتلون في الشمس ألواناً لها أربع قوائم جمعها حرابي .

على قريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود، وأهـل العلـم بالكتـاب الأول ، فسـلوهم ، ديـنُكم خير أم دينُ محمد؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينُكم خير مـن دينـه ، وأنتـم أهْدَى منه وممن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم : {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ} قال ابن هشام : الجبت عند العـرب : ما عُبد من دون الله تبـارك وتعـالى : والطـاغوت : كـل مـا أضـل عـن الحـقِّ . وجَمْع الجِبْت : جُبوت وجمع الطاغوت طَوَاغيت .
قال ابن هشام : وبلغنا عن ابن أبي نَجِيح أنه قال : الجبت : السحر والطاغوت : الشيطان .
{وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} [النساء: 51] قـال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَـى مَـا آتَـاهُمْ اللـه مِـنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَـاهُمْ مُلْكًـا عَظِيمًـا}.[النسـاء: 54]
إنكار اليهود التنزيلَ : قال ابن إسحاق : وقال سُكَيْن وعَدي ابـن زيـد: يـا محمد، ما نعلم أن الله أنزل على بَشـر مـن شـيء بعـد موسـى . فـأنزل اللـه تعالى في ذلك من قولهما : {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَـى نُـوحٍ وَالنَّبِيِّيـنَ مِـنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيـمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ وَيَعْقُـوبَ وَالْأَسْـبَاطِ وَعِيسَـى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُـلَيْمَانَ وَآتَيْنَـا دَاوُودَ زَبُـورًا* وَرُسُـلًا قَـدْ قَصَصْـنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُـلًا لَـمْ نَقْصُصْـهُمْ عَلَيْـكَ وَكَلَّـمَ اللـه مُوسَـى تَكْلِيمًـا* رُسُـلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: 163ـ165]

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقال لهم : أمَا والله إنكم لتعلمون أنى رسول من الله إليكم ؟ قالوا : ما نعلمه ، وما نشهد عليه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ لَكِنْ الله يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِالله شَهِيدًا ﴾.[النساء: 166]

اتفاقهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضير يستعينهم في دِية العامريْن اللَّذَيْن قتلَ عمرو بنُ أمية الضَّمْري . فلما خلا بعضُهم ببعض قالوا : لن تجدوا محمداً أقربَ منه الآنَ ، فَمَنْ رجل يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرةً فيريحنا منه ؟ فقال عَمرو بن جحاش بن كعب : أنا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا الله وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ ﴾.[المائدة: 11]

ادِّعاؤهم أنهم أحباء الله : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نعمانُ بن أضاء، وبَحْري بن عَمرو، وشأس بن عَدي ، فكلموه وكلمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ودعاهم إلى الله ، وحذَّرهم نِقْمته ، فقالوا، ما تُخوفنا يا محمد، نحن والله أبناءُ الله وأحباؤه ، كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: 18]

إنكارهم نزول كتاب من بعد موسى : قال ابن إسحاق : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهودَ إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذرهم غيرَ الله وعقوبته ، فأبَوْا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم معاذ بن

جبل وسعد بن عُبادة، وعقبة بن وهب : يا معشر يهود، اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونه لنا قبلَ مبعثه وتصفونه لنـا بصـفته ؟ فقال رافع بن حُرَيْملة، ووهب بن يَهُوذا : ما قلنا لكم هذا قط ، وما أنزل الله من كتاب بعدَ موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعدَه . فأنزل اللـه تعـالى فـي ذلك من قولهما : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُـمْ عَلَـى فَتْـرَةٍ مِـنْ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَـذِيرٍ فَقَـدْ جَـاءَكُمْ بَشِـيرٌ وَنَـذِيرٌ وَاللـه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 19].

ثم قص عليهم خبرَ موسى وما لقى منهم ، وانتقاضهم عليه وما ردوا عليه مـن أمر الله حتى تاهوا في الأرض أربعين سنة عقوبةً .

رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حكـم الرجـم : قـال ابن إسحاق : وحدثني ابنُ شهاب الزهري أنه سمع رجلاً من مُزَيْنة، مـن أهـل العلـم ، يحـدِّث سـعيدَ بـن المسـيَّب ، أن أبـا هريـرة حـدثهم : أن أحبـار يهـود اجتمعوا في بيت المِدْراس ، حيـن قـدم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم المدينةَ، وقد زنى رجلٌ منهم بعد إحصانه بامرأة من يهودَ قد أحصنت ، فقـالوا : ابعثوا بهذا الرجلِ وهذه المرأة إلى محمد، فَسَلوه كيف الحكم فيهما، وولـوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم مـن التجبيـة - والتجبيـة : الجلـد بحبـل من ليف مَطْلى بقارٍ ، ثـم تُسَـوَّد وجوههمـا ثـم يُحملان علـى حِمَـارَيْن وتجعـل وجوههما من قِبلِ أدبار الحمارين - فاتبعوه ، فإنمـا هـو مَلِـك ، وصـدقوه : وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبى، فاحذروه على ما في أيـديكم أن يَسْـلبَكُموه ، فأتوه ، فقالوا : يا

محمد هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قـد أحصـنت ، فـاحكم فيهمـا، فقـد ولينا الحكم فيهما. فمشى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى

أحبارَهم في بيت المدْرَاس فقال : يا معشر يهـود أخرجـوا إلـىَّ علمـاءَكم ، فأخرج له عبد الله بن صوريا. قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعضُ بنى قُرَيْظـة : أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ، مع ابن صُوريا، أبا ياسر بـن أخْطَـب ، ووهـب بـن يَهُوذا، فقالوا : هؤلاء علماؤنا. فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى حَصَّل أمرَهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا : هذا أعلم من بقيَ بـالتوراة . قال ابن هشام : من قوله : " وحدثني بعض بنى قريظـة " - إلـى " أعلـم مـن بقى بالتوراة " من قول ابن إسحاق ، وما بعده من الحديث الذي قبله فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلاماً شابّاً من أحـدثهم سِـنا، فـألَظّ به[122] رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم المسألة، يقـول لـه : يـابن صُـوريا، أنْشُدك الله وأذكّرك بأيامِهِ عند بنى إسرائيلَ ، هـل تعلـم أن اللـه حكـم فيمـن زنَى بعد إحصانهِ بالرجم في التوراة؟ قال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسـم إنهم ليعرفون أنك لنبى مُرْسَل ولكنهم يحسدونك . قال : فخـرج رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فأمر بهما فرُجما عند باب مسجده فـي بنـى غَنْـم بـن مالك بن النجار: ثم كفر بعد ذلك ابن صُوريا، وجحد نبوة رسول الله صلى اللـه عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّـذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّـا بِـأَفْوَاهِهِمْ وَلَـمْ تُـؤْمِنْ قُلُـوبُهُمْ وَمِـنْ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة: 41] أي الذين بعثوا منهم من بعثوا وتخلفوا، وأمروهم

[122] ألظ به : ألح عليه .

به من تحريف الحكم عن مواضعه ، ثم قال : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ ، أي الرجم ﴿فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: 41] إلى آخر القصة .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمدُ بن طلحة بن يزيد بن رَكَانة عن إسماعيل عن إبراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما، فرُجما بباب مسجده ، فلما وجدَ اليهوديُّ مَسَّ الحِجارة قام إلى صاحبته فجنأ عَلَيْها[123] ، يقيها مَسَّ الحجارةِ، حتى قُتلا جميعاً.

قال : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في تحقيق الزنا منهما.

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كَيْسان ، عن نافع مولى عبد الله ابن عُمر عن عبد الله بن عمر، قال : لما حكّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما، دعاهم بالتوراة وجلس حَبْر منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجم ، قال : فضرب عبدُ الله بن سَلام يد الحَبْر ثم قال : هذه يا نبى الله آية الرجم ، يأبى أن يتلوَها عليك .

---

[123] وذكر المرجومة من اليهود، وأن صاحبها الذي رُجم معها جنأ عليها بنفسه ليقيها الحجارة . ويروى حنا بالحاء تقيد في إحدى الروايتين عن أبي الوليد، وكذلك في الموطأ من رواية يحيى، فجعل يحنى عليها، وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد : جنأ بالجيم ، والهمز، وعلى هذه الرواية فسره أبو عبيد، والجناء : الانحناء، قال الشاعر عوف بن محلم :

وبدلتنى بالشطاط الجنا وكنت كالصعدة تحت السنان

وفي حنوه عليها من الفقه : أنهم لم يكونا في حفرتين ، كما ذهب إليه كثير من الفقهاء في سنة الرجم ، وكذلك روي عن على رحمه الله، أنه حفر لشراحة ، بنت مالك الهمدانية حين رجمها. وأما الأحاديث فأكثرها على ترك الحفر للمرجوم ، واسم هذه المرجومة : بسرة فيما ذكر بعض أهل العلم ، وفي قصتهما أنزل الله تعالى : ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمْ التَّوْرَاةُ﴾ [المائدة: 43]الآية إلى قوله : ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: 44] يعنى محمداً، ومن حكم بالرجم قبله ، لأنه حكم بالرجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا إليه

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحكم يا معشر يهود ما دعـاكم . إلى ترك حُكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقـالوا : أمـا واللـه إنـه قـد كـان فينـا يُعمل به ، حتى زنا رجل منا بعد إحصانه ، من بيـوت الملـوك وأهـل الشـرف ، فمنعه الملك من الرجم ، ثم زنا رجل بعده ، فأراد أن يرجمه ، فقالوا : لا والله ، حتى ترجم فلاناً، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهـم علـى التجبيـة، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: فأنا أول من أحيا أمرَ الله وكتابه وعمـل بـه ، ثـم أمـر بهمـا فرُجمـا عنـدَ بـاب مسجده . وقال عبد الله بن عمر: فكنت فيمن رجمهما.

ظلمهم فـي الديـة : قـال ابـن إسـحاق : وحـدثني داودُ بـن الحُصَـيْن عـن عكْرمة، عن ابن عباس : أن الآيات من المائدة التي قال اللـه فيهـا : ﴿فَـاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْـتَ فَـاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: 42] إنما نزلـت فـي الديـة بين بنى النضير وبين بنى قُريظة، وذلك أن قتلى بنى النضير، وكان لهم شـرف ، يؤدون الديةَ كاملة، وأن بنى قريظة كانوا يؤدون نصفَ الديـة، فتحـاكموا فـي ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله ذلـك فيهـم ، فحملهـم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الحقِّ في ذلك ، فجعل الديةَ سواء.
قال ابن إسحاق : فالله أعلم أي ذلك كان .

رغبتهم في فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسـحاق : وقال كعب ابن أسد، وابن صلوبا، وعبـد اللـه بـن صُـوريا، وشَـأس بـن قيـس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنـا نفتنـه عـن دينـه ، فإنمـا هـو بشـر، فأتَوْه ، فقالوا له : يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم

وسادتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهـود، ولـم يخالفونـا، وأن بيننـا وبيـن بعـض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضـي لنـا عليهـم ، ونـؤمن بـك ونصـدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل اللـه فيهـم : {وَأَنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ الله وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُـوكَ عَـنْ بَعْـضِ مَـا أَنزَلَ الله إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللـه أَنْ يُصِـيبَهُمْ بِبَعْـضِ ذُنُـوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ* أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ الله حُكْمًـا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[المائدة: 49،50]

إنكارهم نبوةَ عيسى عليه السلام : قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ منهـم : أبـو ياسـر بـن أخْطـب ، ونـافع بـن أبي نـافع وعازر بن أبي عازر، وخالد، وزيد، وإزار بن أبـي إزار، وأشْـيع . فسـألوه عمـن يؤمن به من الرسل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : نـؤمنُ بـالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسـباطِ ، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربِّهم ، لا نفرِّقُ بينَ أحدٍ منهـم ونحن له مسلمون ". فلما ذَكـر عيسـى ابـن مريـم جحـدوا نبـوته ، وقـالوا : لا نؤمن بعيسى ابن مريم ولا بمن آمن به ، فأنزل الله تعالى فيهم : {قُلْ يَا أَهْـلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِالله وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَـا أُنْـزِلَ مِـنْ قَبْـلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}[المائدة: 59]

ادعاؤهم أنهم على الحق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافـعُ بن حارثة، وسلام بن مِشْكم ، ومالك بن الصيْف ، ورافع بن حُرَيملة، فقـالوا : يا محمد، ألستَ تزعم أنك على ملـة إبراهيـم ودينـه ، وتـؤمن بمـا عنـدنا مـن التوراة ، وتشهد أنها من الله حقّ ؟ قال : بلَى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها، وكتمتُم منها ما أمرتم أن تبينوه للنـاس ، فبَرِئْتُ من إحداثِكم قالوا : فإنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الهـدَى والحـق ، ولا نؤمن بك ، ولا نتبعك .

فأنزل الله تعالى فيهم : (قـل يأهـلَ الكتـاب لسـتم علـى شـيء حـتى تقيمـوا التوراةَ والإنجيلَ ، وما أنزل إليكم من ربِّكم ، وليزيدَنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من رَبِّك طُغياناً وكُفراً، فلا تأسَ على القومِ الكافرين) .

إشراكهم بالله : قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليـه وسـلم النَّحَّامُ ابن زيد، وقَرْدَم بن كعب ، وبَحْري بن عَمْرو، فقالوا له : يـا محمـد، أمـا تعلم مع الله إلهاً غيرَه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللـه لا إلـه إلا هُوَ، بذلك بُعثت ، وإلى ذلك أدعو. فأنزل الله فيهـم وفـى قـولهم : ﴿ قُـلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ الله شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُـرْآنُ لِأُنـذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ الله آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُـوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَـابَ يَعْرِفُـونَهُ كَمَـا يَعْرِفُـونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.[الأنعام: 19،20].

نهْيُ الله المؤمنين عن موادتهم : وكان رفاعةُ بن زيـد بـن التـابوت ، وسُوَيد بن الحـارث قـد أظهـرا الإسـلام ونافقـا، فكـان رجـال مـن المسـلمين يوادونهم . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَـذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَـاءَ وَاتَّقُـوا الله إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: 57]. . . إلى قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَـالُوا آمَنَّـا وَقَـدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَالله أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾.[المائدة: 61]

سؤالهم عن قيام الساعة : وقال جَبَل بـن أبـي قُشَـيْر، وشَـمْوِيل ابـن زَيْد، لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمدُ، أخبرنا، متى تقومُ السـاعةُ إن

كنت نبياً كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما : {يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.[الأعراف: 187]

قال ابن هشام : أيان مُرْسَاها؟ متى مرساها، قال قيس بن الحُدَادِيَّةِ الخُزاعى :

فجئتُ ومُخْفَى السِّرِّ بينى وبينَها لأسألها أيان من سار راجعُ ؟

وهذا البيت في قصيدة له ، ومُرساها : منهاها، وجمعه : مَرَاسٍ . وقال الكُمَيْت بن زيد الأسدي :

والمصيبين بابَ ما أخطأ النا سُ ومُرْسَى قواعد الإسلامِ

وهذا البيت في قصيدة له . ومُرْسَى السفينة حيث تنتهى . وحَفِى عنها - على التقديم والتأخير - يقول : يسألونك عنها كأنك حَفِىّ بهم تخبرهم بما لا تخبر به غيرهم . والحَفِىُّ : البَرُّ المتعهد. وفي كتاب الله : {إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} [مريم: 47]وجمعه : أحفياء. وقال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

فإن تسألي عني فيا رُبَّ سائلٍ حَفِي عن الأعشَى به حيثُ أصْعدا[124]

وهذا البيت في قصيدة له . والحفي أيضاً : المُستحفى عن علم الشىء،المبالغ في طلبه .

في ادعاؤهم أن عُزَيْراً ابن الله : قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: سلاَّمُ بنُ مِشْكم ، ونعمان بن أبي أوفى أبو أنس ، ومحمود ثم ابن دِحْية، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصَّيف ، فقالوا له : كيف

[124] أصعد : سار في البلاد.

نتبعك وقد تركت قبلَتنا، وأنت لا تزعم أن عُزيراً ابن الله ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك في قولهم : ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللـه وَقَـالَتْ النَّصَـارَى الْمَسِـيحُ ابْنُ الله ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللـه أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30]إلى آخر القصة . قـال ابـن هشـام : يضـاهون : أي يُشاكل قولُهم قولَ الذين كفروا، نحو أن تحـدِّث بحـديث فيحـدث آخـر بمثلـه ، فهو يضاهيك .

طلبهم كتاباً من السماء : قال ابن إسحاق : وأتى رسولَ الله صلى اللـه عليه وسلم محمودُ بن سَيْحان ، ونُعمان بن أضاء، وبَحْـري بـن عمـرو، وعُزَيْـز ابن أبي عُزَيْز، وسَلاَّم بن مِشْكم ، فقالوا : أحقٌّ يا محمد أن هذا الذي جئت به لحق من عند الله ؟فإنا لا نراه متسقاً كما تتسق التـوراة . فقـال لهـم رسـول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، ولو اجتمعت الإنسُ والجنُّ علـى أن يـ أتوا بمثلـه مـا جاءوا به فقالوا عند ذلك ، وهم جميع : فنحاص ، وعبدُ اللـه بـن صـوريا، وابـن صلوبا، وكنانة بنالربيع بن أبي الحُقَيق، وأشيْع ، وكعب بـن أسـد، وشَـمْوِيل بـن زيد، وجبل بن سُكَينة : يا محمد، أما يعلِّمك هذا إنس ولا جن ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله إنكم لتعلمون أنـه مـن عنـد اللـه . تجدون ذلك مكتوباً عندكم فـي التـوراة؟ فقـالوا : يـا محمـد، فـإن اللـه يصـنع لرسوله إذا بعثه ما يشـاء ويقـدره منـه علـى مـا أراد، فـأنزلْ علينـا كتابـاً مـن السماء نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به . فـأنزل اللـه تعـالى فيهـم وفيما قالوا : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُـرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسـراء: 88] قـال ابـن هشـام : الظهير : العَوْن . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ،

أي تعاونوا عليه . قال الشاعر :

يا سَمِيَّ النبيِّ أصبحتَ للدين قواماً وللإمام ظهيرَا

، أي عَوْنا وجمعه ظُهراء. .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين : قال ابن إسـحاق : وقال حُيى بن أخطب ، وكعب بن أسَد، وأبو رافع ، وأشْيع ، وشَمْويل بن زيد، لعبد الله بن سَلاَّم حين أسلم : ما تكون النبـوة فـي العـرب ، ولكـن - صـاحبك مَلك ، ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فسـألوه عـن ذي القرنيـن فقص عليهم ما جاءَه من الله تعالى فيه ، مما كان قص على قريش وهم كانوا ممن أمر قريشاً أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا إليهم النَّضر بن الحارث ،وعُقبة بن أبي مُعَيْط .

تهجمهم على ذات الله : قال ابن إسحاق : وحُدثت عـن سـعيد ابـن جُـبير أنه قال : أتى رهطٌ من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقـالوا : يا محمدُ، هذا الله خَلَقَ الخلْقَ ، فمن خلق اللـه ؟ قـال : فغضـب رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونُهُ ، ثم ساورهم غضباً لربه . قال : فجـاءه جبريلُ عليه السلام فسكَّنه ، فقال : خَفِّضْ عليك يـا محمـد، وجـاءه مـن اللـه بجوابِ ما سألوه عنه : {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ* الله الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَـدْ* وَلَـمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 1ـ4] قال : فلما تلاها عليهم قالوا: فصف لنـا يـا محمد كيف خَلْقُه كيف ذِراعه ؟ كيف عَضده . فغضب رسولُ اللـه صـلى اللـه عليه وسلم أشد من غضـبه ،الأول ، وسـاورهم ، فأتـاه جبريـل عليـه السـلام ، فقال له مثلَ ما قال له أولَ مرة، وجاءه من اللـه تعـالى بجـوابِ مـا سـألوه . يقول الله تعالى : {وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}.[الزمر: 67]

قال ابن إسحاق : وحدثني عُتبة بن مُسلم ، مولى بنى تيم ، عن أبـي سَـلَمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة، قال : سمعت رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم يقول : " يوشك الناسُ أن يتساءلوا بينَهم حتى يقول قائلُهم : هـذا اللـه خَلَقَ الخَلْقَ ، فمن خلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا : ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَـدٌ* اللـه الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1ـ4]. ثـم ليتفُـل الرجل عن يساره ثلاثا، وليستعذْ بالله من الشيطان الرجيم ".

قال ابن هشام : الصمد : الذي يُصمَد إليـه ، ويُفْـزَع إليـه . قـالت هنـد بنـت مَعْبد بن نَضْلة تبكى عَمرو بن مسعود، وخالد بن نَضْلة، عميها الأسديين ، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر اللخمى، وبَنَى الغَرِيين[125] اللَّذيْن بالكوفة عليها :

ألا بَكَرَ الناعى بَخَيْرَيْ بنى أسدْ بعمرو بن مسعود وبالسيِّد الصَّمَدْ

---

[125] الغريان المشهوران كانا بالكوفة وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديمي جذيمة الأبرش وسميا الغريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه . وانظر لسان العرب ج 19 ص 358 .

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف : قال ابن إسحاق : وقَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ نصارَى نَجران[126] ، ستون راكباً، فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم ، وفي الأربعةَ عشرَ منهم ثلاثةُ نفر إليهم يئول أمرُهم : العاقب ، أميرُ القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يُصْدرون إلا عن رأيه ، واسمه عبدُ المسيح والسيد لهم ، ثمالهم[127] وصاحبُ رَحْلهم ومجتَمعهم ، واسمه الأيْهم ، وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل ، أسْقُفهم وحَبْرهم وإمامهم ، وصاحب مِدْرَا سِهم[128] . وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم ، ودرس كتبَهم ، حتى حَسُن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبَنَوْا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .

---

[126] نجران : عرفت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأما أهلها فهم : بنوالحارث بن كعب من مذحج

[127] ثمال القوم : من يرجعون إليه ويقوم بأمرهم .

[128] المدراس : المكان الذين يدرسون فيه كتبهم كذلك من يدرس لهم .

إسلام كُوز بن علقمة : فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجِّهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى جنبه أخ له ، يقال له : كُوز بن علقمة - قال ابن هشام : ويقال : كرز - فعثرت بغلة أبي حارثة، فقال كوز : تعس الأبعد : يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له أبو حارثة : بل وأنت تَعستْ ! فقال : ولم يا أخي ؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر، فقال له كوز : ا يمنعك منه وأنت تعلم بذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شَرَّفونا ومَولونا وأكرمونا، وقد أبوْا إلا خِلاَفه ، فلو فعلتُ نزعوا منا كلَّ ما ترى. فأضمر عليها منه أخوه كُوز بن علقمة، حتى أسلمَ بعد ذلك .
فهو كان يُحدِّث عنه هذا الحديث فيما بلغنى .
رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس : قال ابن هشام : وبلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندَهم . فكلما مات رئيسٌ منهم فأفْضَت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكُتب خاتماً مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسِرها، فخرج الرئيسُ الذي كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يمشي فعثر، فقال له ابنه : تعس الأبعد، يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبى، واسمه في الوضائع ، يعنى الكتب .
فلما مات لم تكن لابنهِ هِمَّة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذِكْرَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم فحسُن إسلامُهُ وحج ، وهو الذي يقول :

إليكَ تعدو قَلِقاً وَضينُها مُعْتَرِضاً في بطنِها جَنينُها
مخالفاً دينَ النصارى دينُها

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة، وقالَ هشام بن عروة : وزاد فيه أهلُ العراق :

مُعترضاً في بطنِها جنينُها

فأما أبو عُبَيدة فأنشدناه فيه .

صلاتهم إلى جهة المشرق : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد. ابن جعفر بن الزبير، قال : لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الحِبرات[129] ، ، جُبَب وأردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب . قال : يقول بعضُ من رآهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم يومئذ : ما رأينا وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتُهم ، فقاموا في مسجدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعُوهم فصلَّوْا إلى المشرق .

أسماؤهم ومعتقداتهم : قال ابن إسحاق : فكانت تسمية الأربعةَ ، عشرَ، الذين يئول إليهم أمرهم : العاقبُ وهو عبد المسيح والسَّيد وهو الأيْهم ، وأبو حارثة بن عَلْقَمة أخو بنى بكر بن وائل ، وأوْس و الحارث ، وزَيْد ، وقيْس ، و يزيد ، و نبيه ، و خوَيْلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويُحَنَّس ، في ستين راكباً فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد وهم من النصرانية - على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو والد الله . ويقولون : هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية فهم يحتجون في قولهم : "هو الله " بأنّه كان يُحيى الموتى، ويبرئ الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفِخ فيه فيكون طائراً، وذلك كلُّه بأمر الله تبارك وتعالى : ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾[مريم: 21][130].

---

[129] الحِبرات : برود تأتي من اليمن . جمع حبرة، ثوب من الكتان والقطن النباتي.

[130] وأما احتجاج القسيسين بأنه كان يحيى الموتى، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ
فيه ، فلو تفكروا لأبصروا أنها حجة عليهم لأن الله تعالى خصه دون الأنبياء بمعجزات تبطل مقالة من كذبه ، وتبطل أيضاً مقالة من زعم أنه إله أو ابن الإله ، واستحال عنده أن يكون مخلوقاً من غير أب ، فكان نفخه في الطين ، فيكون طائراً حياً :
تنبيهاً لهم لو عقلوه على أن مثله كمثل آدم خلق من طين ، ثم نفخ فيه الروح ،
فكان بشراً حياً، فنفخ الروح في الطائر الذي خلقه عيسى من طين ليس بأعجب
من ذلك ، الكل فعل الله ، وكذلك إحياؤه للموتى، وكلامه في المهد، كل ذلك
يدل على أنه مخلوق من نفخة روح القدس من جيب أمه ، ولم يخلق من مني الرجال ، فكان معنى الروح فيه - عليه السلام - أقوى منه في غيره ، فكانت معجزاته روحانية دالة على قوة المناسبة بينه وبين روح الحياة، ومن ذلك بقاؤه حياً إلى قرب الساعة. والله تعالى أعلى وأعلم .

ويحتجون في قولهم : إنه ولد الله بأنهم يقولون : لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله . ويحتجون فـي قـولهم : " إنه ثالثُ ثلاثة " بقول الله : فَعَلْنا، وأمرْنا، وخلقْنا، وقَضَيْنا، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ ، وقضيتُ ، وأمرتُ ، وخلقتُ ولكنه هو وعيسى ومريم ، ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القـرآن .. فلمـا كلَّمـه الحَبْـران ، قـال لهمـا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسْلِما قالا : قد أسلمنا قال إنكما لم تُسـلما فأسْلِما، قـالا : بلَـى، قـد أسـلمنا قبلـك : قـال كـذبتما، يمنعكمـا مـن الإسـلام دعاؤكما للّه ولداً، وعبادتكما الصـليب ، وأكلكمـا الخنزيـر قـالا : فمـن أبـوه يـا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهما.

ما نزل فيهم من القرآن: فـأنزل اللـه تعـالى فـي ذلـك مـن قـولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران ، إلى بضع وثمانين آية منها، قـال جل وعز : }الم* اللـه لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ{ [آل عمـران:1،2] فافتتـح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا، وتوحيده إياه بالخلق والأمر، لا شريك له فيـه ، رداً عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد،

واحتجاجاً بقولهم عليهم في صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم : فقال : الم* الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ{ ليس معه غيره شريك في أمره }الْحَيُّ الْقَيُّومُ{[آل عمران:1،2] الحي الذي لا يموت ، وقد مات عيسى وصُلب في قولهم . والقيوم القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به ، وذهب عنه إلى غيره . }نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ{أي بالصدق فيما اختلفوا فيه ،

}وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ{ : التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبله } وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ{، أي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره . ، } إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالله عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ{، أي أن الله منتقم ممن كفر باياته ، بعد علمه بها، ومعرفته بما جاء منه فيها. }إِنَّ الله لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ{ أي قد علم ما يريدون ، وما يكيدون ، وما يضاهون بقولهم في عيسى، إذ جعلوه إلهاً وربًّا، وعندهم من، علمه غير ذلك ، غِرَّة بالله ، وكُفراً به . }هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ{، أي قد كان عيسى ممن صُور في الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صُور غيره من ولد ادم ، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل .

ثم قال تعالى إنزاهاً لنفسه ، وتوحيداً لها مما جعلوا معه : } لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ{العزيز في انتصاره ممن كفر به إذا شاء، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده .

}هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ{[131]، فهن حجة الرب ، وعِصمة العباد، ودَفْع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه }وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ{لهن تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهنَّ العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، ألا يُصْرَفن إلى الباطل ، ولا يُحرَّفن عن الحق . يقول عز وجل : } فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ{[132] أي ميل عن الهدى } فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ{، أي ما تصرف منه ، ليصدقوا به

---

[131] قوله تعالى :} مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ{ وهو ما لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً، وهو
من أحكمت الفرس بحكمته ، أي منعته من العدول عن طريقه كما قال حسان :
" ونحكم بالقوافي من هجانا *
أي : نلجمه فنمنعه ، وكذلك الآية المحكمة لا تنصرف بقارئها إلى التأويلات ،
ولا تتعارض عليه الاحتمالات ، وليس من لفظ الحكمة، لأن القرآن الكريم كله
حكمة وعلم . والمتشابهة يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة، وطرق متباينة، وقوله
سبحانه :} كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ{ [هود: 1]هذا من الحكمة ومن الإحكام الذي هو الإتقان ،
فالقرآن كله محكم على هذا، وهو كله من هذا الوجه متشابه أيضاً، لأن بعضه
يشبه بعضاً في براعة اللفظ ، وإعجاز النظر وجزالة المعنى، وبدائع الحكمة، فكله
متشابه ، وكله محكم ، وعلى المعنى الأول : }مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ{ فأهل الزيغ يعطفون المتشابه على أهوائهم ، ويجادلون به عن آرائهم ، والراسخون في العلم يردون المتشابه إلى المحكم أخذاً بقوله تعالى : }فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ{ [النساء: 59] وعلم بأن الكل من عند الله . فلا يخالف بعضه بعضاً.

[132] روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى : }فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ{ قال : إذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم أولئك فاحذروهم . وللسلف في معنى المحكم ومعنى المتشابه أقوال متقاربة،
إلا أن منهم من يرى الوقف على قوله : }وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الله{ [آل عمران: 18] ويرونه

ما ابتدعوا وأحدثوا، لتكون لهم حجة، ولهم على ما قالوا شبهة {ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ}، أي اللبس {وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}. ذلك على ما رَكِبوا من الضلالة في قولهم : خَلَقْنا وقَضَيْنا. يقول : {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ} أي الذي به أرادوا، ما أرادوا {إِلَّا الله وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} فكيف يختلف وهو قول واحد، من رب واحد. ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة
التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، واتسق بقولهم الكتاب ، وصدَّق بعضُه بعضاً، فنفذت به الحُجة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل ، ودمغ به الكفر. يقول الله تعالى في مثل هذا : {وَمَا يَذَّكَّرُ} في مثل هذا {إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ* رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}. أي لا تمل - قلوبنا، وإن ملنا بأحداثنا. {وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 5ــ 8]. ثم قال : {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ} بخلاف ما قالوا {قَائِمَا بِالْقِسْطِ}، أي بالعدل فيما يريد {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ}، أي ما أنت عليه يا محمد : التوحيد للرب ، والتصديق للرسل . {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ} [آل عمران: 18،19] أي الذي جاءك ، أي في أن الله الواحد الذي ليس له شريك {بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ الله فَإِنَّ الله سَرِيعُ الْحِسَابِ* فَإِنْ حَاجُّوكَ}، أي بما يأتون به من

تمام الكلام ، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقول الراسخون في العلم ، وهو قول
عمر بن عبد العزيز أن الراسخين في العلم لا يعلمون التأويل ، وإن علموا التفسير والتأويل عندهؤلاء غير التفسير، إنما هو عندهم في معنى قوله سبحانه : {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} [الأعراف: 53] وطائفة يرون أن قوله {وَالرَّاسِخُونَ} معطوف على ما قبله ، وإنهم
عالمون بالتأويل ، ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر، والذي أرتضيه من ذلك
مذهب ثالث ، وهو الذي قاله ابن إسحاق في هذا الكتاب - والله أعلم

الباطل من قولهم : خَلَقْنا وفَعلْنا وأمَرْنا، فإنما هى شُبهةُ باطلٍ قد عرفـوا مـا فيها من الحق }فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ{، أي وحده }وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُـلْ لِلَّـذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ{الذين لا كتاب لهم }أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْـلَمُوا فَقَـدْ اهْتَـدَوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَالله بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ{ [آل عمران: 20]

ما نزل من القـرآن فيمـا اتبعـه اليهـود والنصـارى : ثـم جمـع أهـل الكتابين جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا، من اليهـود والنصـارى، فقـال :{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّـذِينَ يَـأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ{[آل عمران: 21]، إلى قـوله :} قُـلْ اللهـمَّ مَالِـكَ الْمُلْـكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ{ أي رب العباد، والملك الذي لا يقضى فيهم غيـره } تُـؤْتِي الْمُلْـكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ{ ، أي لا إلـه غيـرك} إِنَّـكَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ{، أي لا يقـدر علـى هـذا غيـرك بسلطانك وقدرتك }تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْـرِجُ الْحَـيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَـيِّ{ بتلـك القـدرة }وَتَـرْزُقُ مَـنْ تَشَـاءُ بِغَيْـرِ حِسَابٍ{ [آل عمران: 26،27] لا يقدر على ذلك غيرك ، ولا يصنعه إلا أنت أي فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمـون أنـه إلـه ، مـن إحيـاء الموتى، وإبراء الأسقام والخلـق للطيـر مـن الطيـن ، والإخبـار عـن الغيـوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقاً له في نبوته التي بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطاني وقدرتى ما لم أعطـه : تمليـكَ الملـوك بـأمر النبـوة، ووضـعها حيـث شئت ، وإيلاج الليل في النهار، والنهار في الليل ، وإخراج الحـى مـن الميـت ، وإخراج الميت من الحى، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حسـاب : فكـل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملّكه إياه ، أفلم تكـن لهـم فـي ذلـك عِـبرة وبينة! أن لو كان ذلك

كله إليه ، وهو في علمهم يهرب من الملوك ، وينتقل منهم في البلاد، من بلد إلى بلد. ما نزل من القرآن في وعظ المؤمنين وتحذيرهم : ثم وعظ المؤمنين وحذَّرهم ، ثم قال {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللـه} أي إن كان هذا من قولكم حقا، حُبًّا للّه وتعظيماً له {فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} أي ما مضى من كفركم {وَالله غَفُورٌ رَحِيمٌ *قُلْ أَطِيعُوا اللـه وَالرَّسُولَ} فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم {فَإِنْ تَوَلَّوْا} ، أي على كفرهم {فَإِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}.[آل عمران: 31،32]

ما نزل في خلق عيسى وخبر مريم وزكريا: ثم استقبل لهم أمرَ عيسى عليه السلام ، وكيف كان في بدء ما أراد اللـه به ، فقال {إِنَّ اللـه اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ(33)ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.[آل عمران: 33،34] ثم ذكر أمر امرأة عمران ، وقولها : {رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} ، أي نذرته فجعلته عتيقاً، تعبُّده للّه ، لا ينتفع به لشيء من الدنيا {فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى[133] وَاللـه أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}، أي ليس الذكر كالأنثى كما جعلتها محرراً لك نذيرة} وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران:35،36] يقول الله تبارك وتعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} [آل عمران: 37] بعد أبيها وأمها.

---

[133] وذكر في تفسير ما نزل فيهم قول حنة أم مريم ، وهي بنت ماثان {رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى} [آل عمران:36] قال بعض أهل التأويل : أشارت إلى معنى الحيض أن الأنثى تحيض فلا تخدم المسجد، ولذلك قال {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} [آل عمران:36] لأن الذكر لا يحيض ، فهو أبداً في خدمة المسجد.

قال ابن هشام : كفَّلها : ضمَّها.

خبر زكريا ومريم عليهما السلام : قال ابن إسحاق : فذكَّرها بـاليتم ، ثم قص خبرَها وخبرَ زكريا وما دعا به ، وما أعطاه إذْ وهب له يحيـى . ثـم ذكـر مريمَ ، وقول الملائكة لها : {يَـا مَرْيَـمُ إِنَّ اللـه اصْـطَفَاكِ وَطَهَّـرَكِ وَاصْـطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}.[آل عمران: 42،43] يقول الله عز وجل : {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُـوحِيهِ إِلَيْـكَ وَمَـا كُنْتَ لَدَيْهِمْ}، أي ما كنت معهم {إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ}.

قال ابن هشام : أقلامهم : سهامهم ، يعنى قِداحهم التي استهموا بها عليها، فخرج قِدْح زكريا فضمها، فيما قال الحسن بن أبي الحسن البَصري .

كفالة جُرَيج مريم : قال ابن إسحاق : كفلها هاهنا جُرَيْج الراهب ، رجـل من بنى إسرائيل نجار، خرج السـهم عليـه بحملهـا، فحملهـا، وكـان زكريـا قـد كَفَلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيل أزمة شديدة، فعجز زكريـا ء ن حملهـا، فاستهموا عليها أيهم يكفُلُها فخرج السهم على جُرَيج الراهب بكفولها فكفَلَهـا. {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}، أي ما كنت معهـم إذ يختصـمون فيهـا. يخـبره بخفىِّ ما كتموا عنه من العلم عندَهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بمـا يـأتيهم به بما أخفوا منه .

ثم قال : {إِذْ قَـالَتْ الْمَلَائِكَـةُ يَـا مَرْيَـمُ إِنَّ اللـه يُبَشِّـرُكِ بِكَلِمَـةٍ مِنْـهُ اسْـمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ}، أي هكذا كان أمره ، لا كما تقولون فيه {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} أي عند الله {وَمِنْ الْمُقَرَّبِيـنَ* وَيُكَلِّـمُ النَّـاسَ فِ ي الْمَهْـدِ وَكَهْلًا وَمِنْ الصَّالِحِينَ} [آل عمران: 45،46] يخبرهم بحالاته

التي يتقلب فيها في عمره ، كتقلب بنى آدم في أعمارهم ، صـغاراً وكبـاراً، إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آيةً لنبوته ، وتعريفاً للعباد بمواقع قدرته . { قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ الله يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ{ أي يصنع ما أراد، ويخلق ما يشاء من بشـر أو غيـر بشـر} إِذَا قَضَـى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ{ مما يشاء وكيف شاء، }فَيَكُونُ{ كما أراد ثـم أخبرهـا بما يريد به ، فقال : }وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ{ التي كانت فيهـم مـن عهد موسى قبله }وَالْإِنجِيلَ{[آل عمران: 48]، كتاباً آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن مـن الأنبيـاء بعـده ، } وَرَسُـولًا إِلَـى بَنِـي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ{ أي يحقق بها نبـوتى، أنـى رسـول منـه إليكم }أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْـرِ فَأَنفُـخُ فِيـهِ فَيَكُـونُ طَيْـرًا بِـإِذْنِ الله{الذي بعثني إليكم ، وهو ربكم} وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ{. قال ابن هشـام : الأكمه : الذي يُولد أعمى . قال رؤبة بن العَجَّاج :

هَرَّجْتُ فارتدَّ ارتداد الأكْمه

وجمعه : كُمْه .

قال ابن هشـام : هَرَّجـت : صـحتُ بالأسـد، وجلبـتُ عليـه . وهـذا الـبيت فـي أرجوزة له. }وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله وَأُنَبِّئُكُـمْ بِمَـا تَـأْكُلُونَ وَمَـا تَـدَّخِرُونَ فِـي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لَآيَـةً لَكُـمْ{ أنـى رسـول اللـه مـن اللـه إليكـم }إِنْ كُنْتُـمْ مُؤْمِنِينَ* وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ التَّوْرَاةِ{ أي لما سبقنى عنها }وَلِأُحِـلَّ لَكُـمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ{ ، أي أخبركم

به أنه كان عليكم حراماً فتركتموه ، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم فتصيبون يُسره وتخرجون من تِباعاتِه[134] }وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِي إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ{ أي تبرياً من الذي يقولون فيه ، واحتجاجاً لربه عليهم } فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ{، أي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم به} فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ{ والعدوان عليه ، }قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ{ هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم }وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ{ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجُّونك فيه }رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ{ أي هكذا كان قولهم وإيمانهم

رفع عيسى عليه السلام: ثم ذكر سبحانه وتعالى رفْعَه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله ، فقال : }وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ{[135] .

ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصَلْبه ، كيف رفعه وطهره منهم ، فقال : }إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا{ ، إذ هموا منك بما هموا } وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ{ [آل عمران: 55] ثم القصة، حتى انتهى إلى قوله : }ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ{يا محمد }مِنْ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ{ [آل عمران: 58] القاطع الفاصل الحق ، الذي لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى، وعما اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنَّ خبراً غيره .

---

[134] تباعاته : جمع تبعة وهى الظلامة .

[135] أي يفعل بهم جزاء مكرهم.

}إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ الله} (فاستمع) }كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ*الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ } ، أي ما جاءك من الخبر عن عيسى {فَلَا تَكُنْ مِنْ الْمُمْتَرِينَ}أي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترِيَنَّ فيه ، وإن قالوا:خُلق عيسى من غير ذَكر فقد خَلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر، فكان كما كان عيسى لحماً ودماً، وشَعْراً وبَشراً، فليس خَلْق عيسى من غير ذَكر بأعجب من هذا.} فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ{ أي من بعدما قصصت عليك من خبره ،وكيف كان أمره ، }فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ{ [آل عمران: 59ـ61][136]. قال ابن هشام : قال أبو عُبَيْدة : نبتهل : ندعو باللعنة، قال أعْشَى بنى قَيْس بن ثَعْلَبة : ،

لا تقْعُدَنَّ وقد أكَّلْتَها حَطباً نعوذُ من شرِّها يوماً ونبتهلُ

وهذا البيت في قصيدة له . يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب :

---

[136] في قوله: }نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ{ [آل عمران: 61] بدأ بالأبناء والنساء قبل الأنفس . والجواب : أن أهل التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم ، أي ليدع بعضنا بعضاً، وهذا نحو قوله : } فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ{ [النور: 61] في أحد القولين ،أي : يسلم بعضكم على بعض ، فبدأ بذكر الأولاد الذين هم فلذ الأكباد، ثم بالنساء التي جعل بيننا وبينهم مودة ورحمة، ثم وراءهم من دعا بعضهم بعضاً، لأن الإنسان لا يدعو نفسه ، وانتظم الكلام على الأسلوب المعتاد في إعجاز القرآن .

وفي حديث أهل نجران زيادة كثيرة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام ،

منها أن راهب نجران حين رجع الوفد وأخبروه الخبر رحل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم -

فسمع منه وأهدى إليه القضيب والقعب والبرد، الذي كان عند خلفاء بني العباس يتوارثونه إلخ .

بَهل الله فلاناً، أي لعنه ، وعليه بَهْلةُ الله،قال ابن هشام : ويقال : بُهْلـة اللـه ، أي لعنة الله ، ونبتهل أيضاً: نجتهد، في الدعاء.

قال ابن إسحاق : }إِنَّ هَـذَا { الـذي جئـت بـه مـن الخـبر عـن عيسـى } لَهُـوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ {من أمره } وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا الله وَإِنَّ اللـه لَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيـمُ* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ الله عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهِ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُـنَا بَعْضًـا أَرْبَابًـا مِـنْ دُونِ الله فَـإِنْ تَوَلَّـوْاْ فَقُولُـوا اشْـهَدُوا بِأَنَّـا مسـلمون { [آل عمـران: 62ـ64] فدعاهم إلى النَّصَف ، وقطع عنهم الحجة .

إباؤهم الملاعنة : فلما أتى رسولَ الله صلى اللـه عليـه وسـلم الخـبرُ مـن الله عنه ، والفَصْلُ من القضاء بينَه وبينهم ، وأمر بما أمر بـه مـن ملاعنتهـم إن ردوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا له : يا أبـا القاسـم ، دعنـا ننظـر فـي أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوْا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عبدَ المسـيح ، مـاذا تـرى؟ فقال : والله أيا معشر النصارى لقـد عَرَفتـم أن محمـداً لنـبى مرسـل ، ولقـد جاءكم بالفَصْل من خبرِ صاحبِكم ، ولقد علمتم ما لاعـن قـوم نبيّـاً قـط فبقـى كبيرُهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه الاستئصال منكـم إن فعلتـم ، فـإن كنتـم قـد أبيتم إلا إلْف دينِكم ، والإقامة علـى مـا أنتـم عليـه مـن القـول فـي صـاحبكم ، فوادعوا الرجلَ ، ثم انصرِفوا إلى بلادكم . فأتَوْا رسـولَ اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ، فقالوا : يا أبا القاسم ، قـد رأينـا ألا نُلاعنـك ، وأن نتركَـك علـى دينِـك ونرجع على ديننا، ولكن ابعثْ معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالِنا، فإنكم عندنا رِضاً.